





جزيرة الأهوال

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ غزاة الجزيرة ..

تحرّكت السيارة (الجيب) فى صعوبة بالغة فوق الأرض الطينية الرخوة ، فى جزيرة (الأرجوان) ، وهى إحدى الجزر التابعة لدولة (سيامستان) الآسيوية(*) ، وتبعتها عن قرب سيارة أخرى ، من نفس النوع ، وإن نُقِش على جانبها شعار منظمة الصليب الأحمر الدوليّة ، مما يوحى بأن السيارتين فى طريقهما لأداء مهمة رَسمية ما ..

وفى السيارة الأولى جلس أربعة رجال ، تلُوح على وجوههم ومظاهرهم سمات الأهميَّة والرَّصانة ، شأن المسئولين فى كل دول العالم ، وأشار أحدهم إلى أطلال قرية قديمة ، بدأت تقترب من الركب ، وهو يقول :

ــ كانت تعيش هنا بعض قبائل (البونجو) البدائية ، ولكن يبدو أن أمرًا ما جعلهم يهجرون المنطقة منذ فترة .

غمغم راكب آخر ، قائلاً :

---

* دولة (سيامستان) ، وجزيرة (الأرجوان) اسمان غير حقيقيَّين ، ابتدعهما خيال المؤلف ، ولا صلة لهما بالواقع .

— من الواضح أنهم كانوا بدائيِّين إلى حدٍّ مثير للغرابة ، ولا ينتمون إلى حضارة القرن العشرين على الإطلاق .

هزَّ الرجل الأول كتفيه ، وقال :

— بصفتى مندوب فخامة رئيس دولة (سيامستان) ، أستطيع أن أؤكّد أننا قد بذلنا أقصى جهدنا ، للنهوض بهذه الجماعات المتخلفة ، ولكن جهودنا ذهبت سدى ، فهؤلاء القوم يرفضون الاندماج مع ركب الحضارة تمامًا ، ويفضلون حياتهم البدائية ، الشبيهة بجماعات القردة ، حتى أنهم يفزعون حين يرون الغرباء .

خلع رجل ثالث منظاره الطبىّ ، قائلًا فى رصانة :

— بصفتى مندوبًا لهيئة الأمم المتحدة ، أحب أن أبلغكم استياء المنظمة البالغ ؛ لأن كل المساعدات والإمكانات الضخمة ، التى قدمناها لكم ، سواء فى صورة معونات طبيّة ، أو اجتماعيّة ، أو ماديّة ، من أجل تطوير هذه القبائل المتخلّفة ، والنهوض بمستوى معيشتها ، لم تستخدم فى الغرض المخصَّص لها .

مندوب الرئيس :

— سيِّدى .. إن دولة (سيامستان) تتألَّف من ثلاث وعشرين جزيرة ، وظروف الحرب التى تلوح هذه الأيام ، بيننا

وبين دولة (كوران) تحول دون توجيه الاهتمام الكافى لرعاية سكان الجزر المتناثرة ، أو الإسراع بتنفيذ البرنامج الخاص بتطويرهم .

مندوب الأمم المتحدة :

— حسنًا .. ستشرف هيئة الأمم المتحدة من الآن فصاعدًا ، على رعاية سكان خمس من هذه الجزر ، من بينها جزيرة (الأرجوان) ، وستتولَّى المنظمة الدوليَّة هذا العمل .

مندوب الرئيس :

— فخامة الرئيس يرحِّب بذلك ، ولا شك .. بل يشكر لكم جهودكم فى هذا الشأن ؛ إذ أن رفع عبء خمس من الجزر عن كاهل الدولة ، سيمكننا من توجيه المزيد من الاهتمام نحو الجزر الأخرى ، بما لا يتعارض مع استعدادنا للحرب .

مندوب الأمم المتحدة :

— إننا سنتقدَّم ببرنامج مماثل لدولة (كوران) ، وأرجو أن تساعد هذه البرامج الخاصّة بالتنمية على تخفيف حِدَّة التوتُّر القائم بين الدولتين ، مما قد يمنع نشوب الحرب ، كما أن تنفيذ البرنامج سيكون مشروطًا بالتقارير التى ستضعها تلك البعثة ، التى أتشرَّف برياستها ، حول مناخ الجزيرة ، وطبيعة سكَّانها ،

وعن الجزر الأخرى ، ولقد أحضرنا معنا بعثة طبية من الصليب الأحمر الدولى ، لرعاية المرضى والجرحى ، فى الجزر المتاخمة لدولة (كوران) ، والتى تتصاعد المناوشات فيها إلى حدٍّ خطير .

مندوب الرئيس :

ـــ وسنعمل على توفير أقصى قدر ممكن من الراحة لكم جميعًا يا سيِّدى ، طوال إقامتكم فى (أرجوان) ، على الرغم من صعوبة الظروف المناخية والمعيشية ، فى هذه الجزيرة بالذات .

لم يكد مندوب الرئيس يتم عبارته ، حتى أحاطت بالسيارة جلبة عظيمة ، وبدت عشرات العيون ، التى تمتلئ بانفعالات عجيبة تحيط بالسيارة ، وقفز عدد كبير من الرجال من فوق الأشجار ، وبدوا وكأن آلة زمن قد قذفتهم فجأة من العصر الحجرىّ إلى القرن العشرين ، بثيابهم البدائية ، التى هى مزيج من جلود الحيوانات وفرائها ، وتلك العصىّ الطويلة ، المدبَّبة الأطراف ، والتى يلوِّحون بها فى وجه السيارة (الجيب) ..

وشحب وجه مندوب الرئيس ، وهو يغمغم فى صوت أجش مختنق مذعور :

ـــ يا إلهى !!.. إنهم (البونجو) !!

* * *

كان رجال (البونجو) يحيطون بالسيارة من كل جانب ، ورماحهم المدبَّبة مشهورة فى وجهها ، إلَّا أن تلك النظرة فى عيونهم لم تكن تحمل أدنى أثر للوحشية أو العداء ..

لقد كانت تمتلئ بالفزع ..

وغمغم مندوب الأمم المتحدة فى توتُّر :

ـــ هل يفهم أحدكم تلك الهمهمات التى يطلقها هؤلاء المتوحِّشون ؟

مندوب الرئيس :

ـــ لا أحد يفهم لغة (البونجو) إلّا (البونجو) أنفسهم ، ولكن من الواضح أنهم ليسوا فى حالة طبيعية ، فهم غير عدوانيِّين بطبعهم ، ثم إنهم عادةً ما يفرُّون من أمام الغرباء .

مندوب الأمم المتحدة :

ـــ عجبًا !!.. إن عيونهم تنطق بالذُّعر والفزع ، بأكثر مما توحى بالعدوانية .

وعلى بعد أمتار قليلة من السيارتين ، ومن وسط الأشجار والحشائش الكثيفة ، التى تغطى سطح الجزيرة ، برزت فوهات عجيبة ، تتصل ببنادق غريبة الشكل ، لم تلبث أن انطلقت منها قذائف مكتومة ، أصابت رجال (البونجو) ،

الذين تزايد ذعرهم وهرجهم لحظات ، قبل أن يتساقطوا كالذباب ..

حدّق أفراد البعثة فيما حدث بذهول ، ومضت لحظة من الصمت والتوتُّر ، قبل أن ينفض أحدهم دهشته ، ويقفز من السيارة ، وينحنى نحو أحد (البونجو) يفحصه ، ثم لم يلبث أن رفع رأسه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ـ لقد فقدوا وعيهم فحسب ، يبدو أنهم قد أصيبوا برصاصات مخدّرة ، كما يحدث مع الحيوانات التى يصطادها متعهدو حدائق الحيوان ..

لم يكد الرجل يتم عبارته ، حتى تأوَّه فى ألم ، حينما ارتطمت طلقة مخدِّرة بعنقه ، وحاول أن يشير إلى رفاقه مستنجدًا ، ولكن عينيه اتسعتا فى ذعر ، حينما رأى أنهم قد تلقوا طلقات مماثلة ، وسبقوه إلى فقدان الوعى ، وحاول أن ينطق .. أن يصرخ .. ولكنه لم يلبث أن لحق بهم ..

ومن وراء الأشجار المتشابكة ، أطلّت كرة سوداء مخيفة ..

* * *

بدا للوهلة الأولى أن تلك الكرة السوداء اللامعة تتحرَّك من تلقاء نفسها ، ولكن الأغصان لم تلبث أن انزاحت ، ليكتمل المشهد ، وتتضح الصورة ..

كانت الكرة السوداء خوذة ، يرتديها شخص غاص فى رداء من الجلد الأسود المعتم ، وإن أشار انعكاس ضوء الشمس فوق الخوذة إلى أنها مزوَّدة بعدسة زجاجية ، قد تسمح لمرتديها بالرؤية ، وبثقبين صغيرين أمام الأنف ، يسمحان بتنفسه ..

وتأمَّل ذلك الرجل المتشح بالسواد ضحاياه ، ثم أشار بيده إليهم ، وعلى الفور انطلقت من بين الأشجار مجموعة من رجال يرتدون الزىّ الأسود نفسه ، ويحملون تلك البنادق المخدِّرة العجيبة ، أسرعوا يحملون الضحايا ، ويجرونهم أرضًا ، إلى الجهة التى أشار إليها قائدهم ..

ولم يلبث ذلك الفريق العجيب أن التقى بمجموعة أخرى ، تماثله فى الزىّ ، تنتظر إلى جوار مجموعة من الزوارق ، ترسو ساكنة أمام شاطئ الجزيرة ، وسرعان ما تعاون الفريقان على نقل الغائبين عن الوعى إلى الزوارق ، التى انطلقت بعيدًا ، واستغرق انطلاقها نصف الساعة ، قبل أن ترسو على ساحل جزيرة أخرى أكبر حجمًا ..

وعبر قائد الفريقين بوَّابة قصر منيف ، يتوسَّط الجزيرة ، واقترب من رجل فى حدود الخامسة والخمسين من عمره ، أشيب الشعر ، له لحية بيضاء كثَّة ، انكبَّ على مطالعة كتاب

ضخم ، وسط حديقة غنّاء ، تتوسط ساحة القصر ، وتزخر بأجمل أنواع الزهور ، وخلع القائد خوذته السوداء المخيفة ، ليحيطها بذراعه أسفل إبطه ، ويعتدل فى وقفة عسكرية ثابتة وهو يقول :

ـ انتهت المهمة بنجاح يا سيِّدى .. لقد عدنا بمجموعة جديدة من (البونجو) ، وأفراد بعثة الأمم المتحدة

رفع ذو اللحية البيضاء عينيه عن كتابه الضخم فى هدوء ، وخلع منظاره الطبىّ قائلًا

ـ هذا عظيم .. انقلهم إلى المعمل الخامس ، وسألحق بك بعد لحظات .

ضرب القائد الأسود كعبيه ببعض فى قوَّة ، وهو يقول :

ـ أمرك يا سيِّدى .

واستدار ينفِّذ الأمر فى حين ارتسمت ابتسامة ظفر على شفتى ذى اللِّحية البيضاء ..

* * *

٢ ـ مهمـة جديدة ..

جلس شخصان أمام مكتب كبير ، داخل حجرة واسعة من حجرات الطابق الثانى عشر ، فى أحد المبانى الشاهقة بضواحى مدينة (الإسكندرية) ، يعملان فى جهد واهتمام ، لرص مجموعة ضخمة من الأوراق النقدية ، داخل حقيبتين كبيرتى الحجم ، وأحدهما يقول فى توتُّر واضح :

ـ هيَّا .. أسرع .. فلم يبق أمامنا إلَّا عشر دقائق على الأكثر .

أجابه زميله بهمهمة غير مفهومة ، وعاد ينهمك فى رص الأوراق ، دون أن ينتبه أحدهما إلى ذلك الرجل المعروف بالجرأة والذكاء ، والذى ينزلق فى مهارة فوق جدران المبنى الملساء ، متعلِّقًا بحبل سميك ، حتى وصل إلى نفس الطابق ، وأخذ يختلس النظر إليهما عبر النافذة الزجاجية ..

كان المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) ، أبرع ضباط المكتب رقم (١٩) ..

وكان يستعد لبدء هجومه ..

وفجأة .. وبلا مقدِّمات ، دفع (ممدوح) النافذة

الزجاجية بقدميه فى قوّة ، وقفز داخل الحجرة ، دون أن يلتفت إلى الزجاج الذى تهشّم بدوىّ مرتفع ..

وقبل أن يفيق الرجلان من أثر المفاجأة ، كان يصوِّب مسدسه إليهما ، صائحًا فى صرامة :

ـــ وجهاكما إلى الحائط ، وأيديكما فوق رأسيكما .

نفّذ الرجلان ما أمرهما به (ممدوح) فى ذُعر ، فالتصقا بالحائط ، وأيديهما فوق رأسيهما ، واقترب منهما (ممدوح) فى حذر ، ولكن شيئًا ما جعله يتسمرّ فى مكانه فجأة ..

كانت صورة منعكسة فوق سطح زجاج المكتب ، لرجل يتقدَّم منه فى شراسة ، ويرفع بيده شمعدانًا معدنيًا ، ليهوى به على مؤخرة رأسه ..

وبسرعة ، مال (ممدوح) جانبًا ، متفاديًا ضربة الشمعدان الثقيل ، التى هوت فوق زجاج المكتب ، وهشّمته ليتناثر فى قوّة ، وكاد مهاجمه يفقد توازنه مع اندفاعته الخائبة ..

وفى سرعة وبراعة ، قفز (ممدوح) إلى ما خلف الرجل ، وهوى على مؤخرة عنقه بمقبض مسدّسه ، ثم أمسك بعنقه وحزامه ، وقذف به عبر المكتب ، ليرتطم بزميليه ، اللّذيْن حاولا استغلال الفرصة لانتزاع مسدّسيهما ..

وسقط الرجال الثلاثة من أثر الارتطام ، وقبل أن ينهض أحدهم ، سقطت فوق رءوسهم حزمة الحبال ، التى كانت تلتف حول كتف (ممدوح) ، وارتفع صوته الصارم يقول :

ـــ هيًا أيها الصِّبْيَة ، سيقيِّد بعضكم البعض بهذه الحبال ، وسأتولّى أنا تقييد آخركم ، وسننتظر جميعًا رجال الشرطة ، لاصطحابكم إلى السجن ، وإعادة النقود التى سرقتموها إلى المصرف .. هيًا .. فات وقت البكاء والندم ..

* * *

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه اللواء (مراد) ، حينما رأى (ممدوح) وهو يدلف إلى مكتبه ، حاملًا ملفًا ضخمًا من الأوراق ، ونهض من خلف مكتبه ، على خلاف العادة ، ليمد يده إلى (ممدوح) مصافحًا ، وهو يقول فى حرارة :

ـــ مرحبًا بالبطل الهُمام .. لقد أدَّيت عملًا رائعًا بنجاحك فى القبض على عصابة (النورى) ، وإعادة الأموال المسروقة إلى المصرف الوطنى .. لقد اتصل بى الوزير منذ لحظات ، ليوجّه الشكر إلى الإدارة ، ولقد أثنى عليك كثيرًا وخاصّةً حينما أخبرته أن سجلك يحوى العديد من العمليات الناجحة ، التى تعدّ أخطر وأعظم من هذه العملية الأخيرة كثيرًا .

ممدوح :

ـــ إنك تخجلنى بمديح لا أستحقه يا سيادة اللواء ، فأنا لم أفعل أكثر من الواجب الذى أقسمت على أدائه ، وهو أمر لا أتميَّز فيه كثيرًا عن باقى الزملاء .

اللواء (مراد) :

ـــ يسعدنى تواضعك يا (ممدوح) ، ولكن هذا لا ينفى كفاءتك المشهود لها على المستويَيْن ، المحلىّ والدولىّ .

ثم ابتسم وهو يعود إلى مقعده خلف المكتب ، مستطردًا :

ـــ ولهذه الكفاءة ضريبتها يا (ممدوح) ، فمن حقك مثلًا بعد نجاحك فى الإيقاع بعصابة (النورى) ، وبعد كل الجهد الذى بذلته ، أن تحصل على إجازة قصيرة ، تجدِّد خلالها نشاطك وحيويتك ، ولكننى لن أمنحك هذه الإجازة للأسف ، فلدىَّ هنا عملية جديدة ، أظن أنه لن يصلح لها إلَّا رجل مثلك .

ممدوح :

ـــ أنا على أتم استعداد لكل ما تسنده إلىَّ يا سيِّدى .

اللواء (مراد) :

ـــ هذا عهدى بك دائمًا يا (ممدوح) .. والآن دَعْنى

أشرح لك تلك المهمة الجديدة .. لقد أوفدت هيئة الأمم المتحدة بعثة خاصة إلى جزيرة (الأرجوان) ، التابعة لدولة (سيامستان) ، فى جنوب شرق آسيا ، وكانت المهمة التى كلَّفتها هذه البعثة تتضمَّن وضع بعض التقارير ، حول حالة سكان الجزيرة ، لإدخالها ضمن خطة تنمية الشعوب المتخلِّفة ، وكان ضمن أفراد البعثة عالم البيئة المصرى المعروف الدكتور (زهدى) ، وهو من الخبراء المعدودين فى العالم ، فى هذا المجال ، ولكن حدث أن اختفت البعثة بكامل أفرادها فجأة ، فى ظروف غامضة .

عقد (ممدوح) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـــ اختفت ؟!

أومأ اللواء (مراد) برأسه إيجابًا ، واستطرد فى هدوء :

ـــ وعلى الرغم من الجهود التى بذلتها هيئة الأمم المتحدة ، بالتعاون مع دولة (سيامستان) لتحرِّى الحقيقة ، والأسباب الكامنة خلف هذا الاختفاء الغامض ، والبحث عن مصير البعثة ، إلَّا أن الأمر برمته ما زال مجهولًا غامضًا ؛ لذا فقد قرَّرنا أن نتولَّى بأنفسنا مهمة البحث عن سر اختفاء البعثة الغامض ، ومحاولة العثور على الدكتور (زهدى) ورفاقه ، وأنا أكلِّفك السفر صباح الغد إلى (سيامستان) ، وتولِّى هذه المهمة .

ممدوح :

ـ هل ينتظرنى أحد هناك يا سيِّدى ؟

اللواء (مراد) :

ـ كلَّا للأسف .. ف (سيامستان) تمرّ بظروف عصيبة هذه الأيام ، نظرًا لتوتُّر الموقف ، واستعدادات الحرب مع دولة (كوران) ، وهى توجِّه كل اهتمامها إلى الدفاع عن حدودها ، ولن يمكنها تقديم أية مساعدات ؛ لذا فسيكون عليك تحمُّل كل العبء وحدك .. وبالمناسبة أحب أن تعرف أنه هناك عددًا من جزر (سيامستان) مملوكة لأفراد وشركات ، بعد أن اضطرت الدولة لبيعها ، لعجزها عن الإنفاق عليها وإدارتها ، وليست من بينها بالطبع جزيرة (الأرجوان) فإذا ما اضطرتك الظروف إلى دخول واحدة من تلك الجزر الخاصة ، فاحرص على أن تحصل على تصريح مسبَّق من مالكها .

ممدوح :

ـ هل تسمح لى بالاستعداد للسفر يا سيِّدى ؟

اللواء (مراد) :

ـ ستزوِّدك أولًا إدارة المعدات الفنية بما ستحتاج إليه فى هذه المهمة ، ثم انطلق على بركة الله .

* * *

٣ ــ المغامرة المجهولة ..

لم يكد (ممدوح) يهبط فى (بانـدى) ، عاصمة (سيامستان) ، حتى بدت له الاستعدادات للحرب واضحة جلية ، فالجنود يملئون الطرقات مدجَّجين بالسلاح .. والمحال العامة تغلق أبوابها مبكِّرًا ، والمدينة تغرق فى ظلام دامس مع حلول المساء ، والقلق والتوتُّر يملآن الوجوه ، انتظارًا للحرب المرتقبة ..

فى ظل هذه الظروف الحرجة ، التى ينشغل كل فرد فيها بحماية نفسه وممتلكاته ، دون أن يلتفت خلفه ، أو يُولى غيره اهتمامًا ، وجد (ممدوح) نفسه يسير وحيدًا فى أزقَّة العاصمة الضيِّقة ، باحثًا عمَّن يرشده إلى جزيرة (الأرجوان) دون جدوى ، فلم يكن هناك من يعنى حتى بالرد على استفساراته وأسئلته ..

وبينما كان يجتاز شارعًا ، يكاد يخلو من المارَّة ، لمح على مسافة غير بعيدة فتاة شابَّة ، تجلس أمام صندوق صغير ، اصطفت فوقه بعض الخضراوات ، وهى تحاول بيع ما يحويه

صندوقها الصغير ، فى الدقائق المتبقية ، قبل أن يسدل الليل أستاره ، فى حين أحاط بها أربعة من الشبان ، يغازلونها على نحو وقح سخيف ، والفتاة تحاول التهرب منهم بالهتاف لترويج بضاعتها ، ومحاولة جذب ذلك العدد الضئيل من المارّة لشراء الخضراوات ، حتى شعر أحد الشبان الأربعة بالغضب ، فركل صندوقها الصغير فى عصبيّة ، ليبعثر الخضراوات النظيفة على الأرض ..

حدّقت الفتاة فى خضراواتها المبعثرة فى مزيج من الدهشة والألم والاستنكار ، ثم تفجّرت ببكاء حار ، وأسرعت تحاول التقاطها وإعادتها إلى الصندوق ، تطاردها ضحكات الشبان الساخرة ، وتلميحاتهم الماجنة العابثة ..

وامتلأت نفس (ممدوح) بالغضب ، وهمّ بالتدخل لتلقين هؤلاء الأوغاد درسًا يستحقونه ، ولكنه لم يكد يتقدّم نحوهم ، حتى تجاوزه شاب فى العشرينات من عمره ، اندفع عبْر الطريق ، وهو يواجه الشبان الأربعة فى غضب ، صائحًا :

— ألا تشعرون بالخجل من فعلتكم السخيفة هذه ؟.. كيف جرؤتم على فعل ذلك مع فتاة وحيدة مسكينة ؟

صاح أحد الشبّان فى غلظة :

— لا شأن لك بذلك .. انصرف قبل أن نحطّم ضلوعك .

امتلأت ملامح الشاب بالصرامة ، واتخذ ذلك الوضع القتالىّ ، الذى يتخذه محترفو رياضة (الكاراتيه) ، وانقضّ فجأة على الشبان الأربعة ، قبل أن يتأهّب أىٌّ منهم لملاقاته ، وهوت ضرباته وركلاته عليهم فى براعة ، لتطيح بهم واحدًا بعد الآخر ..

وحاول أحدهم أن يباريه فى قتاله ، إلّا أن الشاب كان يفوقه مهارةً وحنكة ، فقد تفادى الضربات الموجّهة إليه فى مهارة وحذق ، ثم فاجأ خصمه بلكمتين عنيفتين ، أعقبهما بقفزة رائعة ، وركلة قويّة ، أطاحت بالخصم بعيدًا ، ليسقط أرضًا والدماء تسيل من أنفه وفمه ..

شعر (ممدوح) بالإعجاب لشجاعة الشاب وشهامته ، فهو كمحترف لمثل هذه الفنون القتالية ، كان يقدّر تمامًا براعة الفتى فى القتال ، ولكنه انتبه فجأة إلى أن أحد الشبان الأربعة قد نهض فى حذر ، واستلّ من جيبه مدية ذات نصل حاد ، وهمّ بطعن الفتى فى ظهره ..

ورأى (ممدوح) المدية تهوى فى قوّة على ظهر الفتى ..

* * *



وانقضَّ فجأة على الشبان الأربعة ، قبل أن يتأهب أىٌّ منهم لملاقاته ، وهـوت ضرباته وركلاته ..

لم يدر (ممدوح) كيف اندفع هكذا كالسهم ، وكيف وصل إلى ذلك المشاغب ، قبل أن يغمد مديته فى ظهر الفتى ، ولكنه وجد نفسه يمسك بمعصم الشاب ، ويمنع المدية الحادة من إتمام رحلتها القاتلة ، والشاب يحاول أن يتخلَّص من قبضته ..

وفى مهارة وقوَّة ، دفع (ممدوح) رأس الشاب يسارًا ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى عنف جعل الشاب يطلق صرخة ألم مختنقة ، قبل أن تفلت المدية من يده ..

والتقت عينا كل من (ممدوح) والشاب البطل لحظة ، ورآه (ممدوح) يبتسم فى امتنان ، فبادله الابتسام ، وهو يومئ برأسه فى تحية قصيرة ، قبل أن تعود إلى ملامحه صرامتها ، ويعقد حاجبيه ، قائلاً للشاب الذى يلوى ذراعه فى صوت هادئ النبرات :

ــ عليك أن تغيِّر من أساليبك القذرة هذه أيها الشاب .. لقد لقَّنك هذا الفتى الدرس الأوَّل فى كيفية معاملة الفتيات .. وسألقِّنك أنا الدرس الثانى ، فى كيفية مواجهة الخصوم بشرف وشجاعة .

وهوى على فك الشاب بلكمة قويَّة ألقته أرضًا ، واستطرد فى صرامة :

— لا تهاجم خصمك أبدًا من الخلف .

ارتسمت أمارات الذُعر والفزع على وجه الشاب ، وهو يتراجع فى حَذَر ، خوفًا من أن يلكمه (ممدوح) مرَّة أُخرى ، ثم لم يكد يشعر أن (ممدوح) لن يواصل هجومه ، حتى نهض واقفًا ، وأطلق لساقيه العنان ، ليلحق برفاقه الذين سبقوه إلى الفرار .

فى هذه اللحظة كان الشاب يعاون الفتاة فى جمع الخضراوات ، وإعادتها إلى الصندوق ، وهى تشكره فى حرارة وسعادة ، وما أن تبيَّن أن (ممدوح) ينوى الانصراف حتى لحق به ، قائلًا :

— انتظر يا سيِّدى .. لقد نسيت أن أشكر لك معاونتك .

ممدوح :

— لا عليك .. هذا أقل ما يمكن تقديمه لشاب شهم شجاع مثلك ، يعاون الضعفاء ، وخاصَّةً فى دولة ينشغل كل شخص فيها بنفسه ، ولا يأبه بالآخرين .

الشاب :

— أنت أجنبى .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

— بلى .. أنا مصرىّ .

الشاب :

— مرحبًا بك .. اسمى (شيتان) .. ربَّما تكون قد كوَّنت فكرة خاطئة عن شعبنا ، ولكن صدِّقنى .. إنها ليست عادات وطباع شعب (سيامستان) الموروثة .. إنها تلك الارتباكات التى تسود البلاد هذه الأيام .. إننا نخضع لحاكم طاغية ، ينتشر جواسيسه فى كل مكان ، وتكثر الوشايات ، والشبهة وحدها تكفى لإلقاء الواحد منّا فى غياهب السجون ، دون تحقيق أو محاكمة .. وهذه الحرب التى تدقُّ طبولها وصارت على الأبواب .. كل هذا جعل من شعبنا شعبًا خائفًا .. أنانيًا .. يسعى كل فرد فيه لتأمين نفسه ، ولو على حساب الآخرين .. ولو كانت ظروفنا طبيعية لرأيت شعبنا فى صورة أخرى ، متعاونًا شهمًا كريمًا .

ابتسم (ممدوح) للشاب ، قائلًا :

— أنت مثل صادق لما تقول يا فتى .. وبالمناسبة ، هل يمكنك أن ترشدنى إلى شخص يمكنه معاونتى للوصول إلى (الأرجوان) .

شيتان :

— أنا على استعداد لذلك .

غمغم (ممدوح) مترددًا :

— أنت ؟!.. ولكن .. !

شيتان :

— إننى أمتهن صيد السمك ، ولقد ذهبت إلى (الأرجوان) وغيرها من الجزر عدة مرات بحكم مهنتى ، ولكن لماذا تريد الذهاب إلى هناك ؟

ممدوح :

— إننى أبحث عن بعثة الأمم المتحدة ، التى اختفت هناك .

شيتان :

— لقد سمعت عن ذلك .. ولكن أتعتقد أنهم مازالوا هناك ، أو أنهم مازالوا أحياء ؟

ممدوح :

— لست أدرى .. لقد أسفرت كل الجهود المبذولة للبحث عنهم عن لا شىء ، ولكننى آمل فى التوصُّل إليهم عن طريق سكان الجزيرة أنفسهم .

شيتان :

— تقصد (البونجو) ؟!.. إنهم مجموعة من القبائل المتخلِّفة ، ولن يمكنك التفاهم معهم ، أو الإفادة منهم .

ممدوح :

— ليست أمامى وسيلة أخرى .

شيتان :

— إن لدىَّ بعض معلومات قد تفيدك ، ففى أحد الأيام ، منذ ثلاثة أسابيع ، رحت فى سُبات عميق ، داخل قارب الصيد الذى تملكته ، بعد جهد ضخم ، ويبدو أن القارب ظلَّ يسير بى على غير هدى ، إلى أن رسا على ساحل (الأرجوان) ، ولم أستيقظ إلَّا بعد حلول الظلام ، ولم أكد أفعل حتى رأيت شيئًا عجيبًا .

عقد (ممدوح) حاجبيه فى اهتمام ، وهو يسأله :

— ماذا رأيت ؟

شيتان :

— رأيت مجموعة من رجال يرتدون أردية سودًا ، ويخفون رءوسهم أسفل خوذات سوداء مستديرة مخيفة ، يحملون فريقًا من (البونجو) وبعض رجال يبدو مظهرهم متحضرًا ، وكان الجميع يبدون كالمخدَّرين ، ولقد قام فريق الأردية السود بنقل المخدَّرين إلى زوارق عديدة ، ثم انطلق تحت جناح الظلام والسكون ، والزوارق تسبح فى صمت ، وبلا محركات .

ممدوح :

— وهل عرفت أين ذهبوا بحملهم ؟

شيتان :

ـ لا .. ولكننى لمحت ذوى الأردية السود هؤلاء ، يقومون على حراسة شاطئ جزيرة (بومو) القريبة من (الأرجوان) ، وهى جزيرة خاصَّة ، يمتلكها ملياردير ألمانىّ يدعى (ڤون هاملر) ، ويقال إنه دفع للحاكم ثروة فى مقابلها .

ممدوح :

ـ وهل يمكنك إرشادى إلى جزيرة (بومو) هذه ؟

شيتان :

ـ بالطبع .. يمكننا أن نذهب الآن .

واستوقفه (ممدوح) ، وقد أقلقه حماسه المفرط ، وسأله محذِّرًا :

ـ هل تعلم أى قدر من المخاطرة ، تنطوى عليه هذه العملية ؟

هزَّ الشاب كتفيه فى استهتار ، وأجاب فى هدوء ، وهو يبتسم فى شجاعة :

ـ أعلم يا سيِّدى ، وأنا لا أشعر بالخوف .

ابتسم (ممدوح) فى إعجاب ، وأجاب فى صوت قوىّ :

ـ حسنًا يا صديقى ، سنقتحم الموت معًا ، فى جزيرة (بومو) .

* * *



ابتسم (ممدوح) فى إعجاب ، وأجاب فى صوت قوىّ :
ـ حسنًا يا صديقى ، سنقتحم الموت معًا ، فى جزيرة (بومو) ..

٤ ــ جزيرة المفاجآت ..

اقترب قارب الصيد الصغير ، الذى يقل (شيتان) و (ممدوح) ، الذى تنكر فى زى صياد سيامستانى ، من ساحل جزيرة (بومو) ، وتطلع (ممدوح) خلال منظاره المقرب إلى الجزيرة فى اهتمام ، ثم غمغم محادثًا رفيقه :

ــ عجبًا !!.. إننى لا ألمح هؤلاء المسلحين ، ذوى الأردية السود ، الذين أخبرتنى عنهم يا (شيتان) .

شيتان :

ــ لست أدرى أين ذهبوا ؟! ولكننى كنت أراهم دائمًا ، وهم يجولون على الساحل بأسلحتهم العجيبة !!

ممدوح :

ــ ربمًا كان هذا من حسن حظنا ، حتى يمكننا الهبوط على الجزيرة دون أن نبدأ صراعنا على الفور .

واقترب القارب فى هدوء ، حتى رسا على رمال الشاطئ ، فانتزع (ممدوح) مسدسه وهو يهبط فوق الجزيرة فى حذر ، وتبعه (شيتان) وهو يتلفت حوله فى قلق ..

لم يكن ذلك الهبوط الهادئ متوقعًا ، لذا فقد شعر (ممدوح) بالقلق وعدم الارتياح ، مما جعله يتقدم ، فى خطوات حذرة ، نحو الغابة الكثيفة ، التى تقع على بعد عدة أمتار من الشاطئ ، ولم يكد يقترب منها ، حتى فوجئ بـ (شيتان) يتراجع فى ذعر ، ويشير بأصابع مرتجفة إلى نقطة قريبة ، وهو يهتف فى صوت مختنق ، مرتعد :

ــ ربَّاه !!.. انظر !

التفت (ممدوح) فى سرعة إلى حيث أشار (شيتان) ، ومسدسه مستعد للإطلاق ، ولكنه لم يكد يبصر ما أثار فزع (شيتان) ، حتى سرت فى جسده قشعريرة قوية ، وغمغم فى ذهول :

ــ يا إلهى !!.. يا للبشاعة !!

فقد كان يتطلع إلى أبشع مشهد رأته عيناه ..

* * *

مرت لحظة من الصمت والذهول والاشمئزاز ، قبل أن يغمغم (ممدوح) مرة أخرى :

ــ يا للبشاعة !!

كان أمامهما خمسة من ذوى الأردية السود ، ولكنهم كانوا فى أسوأ وضع ممكن ..

لقد كانت أجسادهم مُمزقة ، مشوّهة ، وكأن حيوانًا ضاريًا قد انقضَّ عليهم فى غفلة منهم ، وقتلهم فى وحشية ، ثم مثّل بجثثهم بلا رحمة ..

وأشاح (شيتان) برأسه عن المشهد البشع ، وهو يغمغم فى اشمئزاز :

ـــ هاهم أولاء ذوو الأردية السود .

ممدوح :

ـــ هذا يفسِّر عدم اعتراضهم لنا فى أثناء هبوطنا على الجزيرة ، ولكن من فعل بهم هذا ؟

أشار (شيتان) إلى نقطة أخرى بين الأشجار ، وقال فى امتعاض :

ـــ انظر .. هناك ثلاثة آخرون ، تم قتلهم وتشويههم على نفس النحو .

انحنى (ممدوح) يفحص أحد القتلى ، قائلًا :

ـــ لقد تعرَّضوا لهجوم وحشى بالغ الضراوة .

ثم نهض واقفًا ، وهو يقول لرفيقه :

ـــ لقد مضى وقت معاونتهم ، دعنا نواصل طريقنا إذن ، ولكن حذار ، فهذه البداية تنذر بالخطر .

عادا إلى مواصلة طريقهما وسط الأشجار الكثيفة المتشابكة ، وقد ران عليهما سكون غامض رهيب ، لا يقطعه إلَّا صوت طائر ، أو حركة حيوان زاحف ، أو حفيف أوراق الأشجار ..

وفجأة .. شق هذا السكون صراخ قوىّ ..

صراخ جمَّد الدم فى عروقهما ، وبعث قشعريرة قويَّة فى جسديهما ..

كان صراخ بشر ، يعانون من آلام الدنيا كلها ..

* * *

ارتجف جسد (شيتان) ، وهو يغمغم فى رعب :

ـــ ما هذا ؟

ممدوح :

ـــ إنها أبشع صرخات ألم سمعتها فى حياتى ، ولكنها أشبه بالعواء منها بالصراخ .

شيتان :

ـــ إن جسدى يرتجف فى قوَّة .

لوَّح (ممدوح) بذراعه فى توتُّر ، وارتكن إلى جذع شجرة ضخمة ، وهو يصيخ السمع فى اهتمام ، ودون أن ينتبه إلى الخطر الذى يقترب منه ..

وفجأة .. برز من خلف جذع الشجرة مخلبان حديديان ، اندفعا فى سرعة وقوة ، ليطوّقا عنقه ، ويعتصراه فى قوّة إلى جذع الشجرة ..

شعر (ممدوح) بآلام شديدة فى عنقه ، وبأنفاسه تختنق فى حلقه ، وهو يحاول يائسًا التخلص من ذلك القيد المعدنى المخيف ، دون أن يلحظ (شيتان) الذى يتقدَّمه ما حدث ، وهو يحسب أن (ممدوح) يتبعه ، فى حين اختنق (ممدوح) حتى أنه لم يعد يستطيع مناداته ، وكل محاولة منه للتخلص من القيد الحديدى تزيد من ضغطه على عنقه ..

وفجأة .. اختفى شعوره بالألم ، مع ذلك الذهول الذى شمله حتى الأعماق ..

لقد اندفعت أمام عينيه فجأة خيوط حريرية ، انطلقت من خلف جذع الشجرة فى حركة سريعة منظمة ، لتلتف حول قدمه وجسده ، وكأنها آلة نسيج تغزل خيوطها حوله فى دقة ومهارة ..

وقبل أن يتغلَّب (ممدوح) على ذهوله ، كان قد أصبح داخل شرنقة من الخيوط ، تحيط بجسده كله ، فيما عدا رأسه ، وارتجف جسده بغتةً ، حينما انطلقت من أعلى الشجرة ضحكات جنونية هستيرية متقطِّعة ، ولم يستطع مع اتساع



وقبل أن يتغلَّب (ممدوح) على ذهوله ، كان قد أصبح داخل شرنقة من الخيوط ، تحيط بجسده كله ..

عينيه فى ذهول جارف ، حينما قفز من فوق الشجرة رجل أشعث الشعر ، أغبر ، يرتدى ثيابًا عجيبة ، ويواصل إطلاق تلك الضحكات الجنونية ..

ولم يكن هناك من شك فى أنه مجنون ..

مجنون قاتل ..

* * *

اقترب الرجل بعينيه المجنونتين ، ومظهره العجيب من (ممدوح) ، الذى لا يقوى على الحركة وسط تلك الشرنقة العجيبة ، وقال فى صوت يشبه أصوات الأطفال :

ــ ما رأيك فى آلتى العجيبة ؟!.. لقد حوّلتك إلى دودة صغيرة ، وستبقى سجينًا فى شرنقتى حتى تتحوّل إلى فراشة كبيرة .

ثم عاد يطلق ضحكته الجنونية العجيبة ، ثم لم يلبث أن بترها فجأة ، وأخذ يتسلّق الشجرة فى سرعة ، مختفيًا وسط أغصانها الكثيفة ، ولم يكد يفعل حتى ظهر (شيتان) ، الذى أخذ يحدّق فى وجه (ممدوح) فى ذهول ، ثم أسرع ينتزع خنجره ، ويسرع إليه صائحًا :

ــ ما الذى فعل بك هذا ؟

ممدوح :

ــ بل قل من ؟.. إنه معتوه عجيب ، يمتلك آلة غريبة .

أسرع (شيتان) يمزّق الخيوط الملتفة حول جسد (ممدوح) ، حتى حرّره منها ، ولم يبق إلا ذلك الطوق الحديدى الملتف حول رقبته ، وحاول (شيتان) أن يعاون (ممدوح) فى نزع المخلبين الحديدين بلا جدوى ، فقال له (ممدوح) :

ــ لن تنجح بهذه الوسيلة :

شيتان :

ــ وهل هناك وسيلة أخرى ؟

ممدوح :

ــ نعم .. حلّ رباط حذائى .

امتلأت ملامح (شيتان) بالدهشة ، إلّا أنه انحنى يحل رباط حذاء (ممدوح) ، الذى قال فى اهتمام :

ــ والآن أدر الأطراف المعدنيّة للرباط فى حركة عكسية سريعة .

أطاع (شيتان) الأمر فى سرعة ، ولم يكد يحرّك الطرفين المعدنيين ، حتى برز من تحتهما سلكان رفيعان ، فأسرع (ممدوح) يقول فى اهتمام :

ـ والآن اضغط السلكين فى الطوق الحديدى ، فى المخلبين .

لم يكد (شيتان) يحاول ذلك حتى مرق سهم رفيع بجوار أذنه ، محدثًا صريرًا قويًا ، قبل أن ينغرز فى جذع الشجرة ، على بعد سنتيمترات من رأس (ممدوح) ..

واضطرب (شيتان) ، وترك الرباط فى ذعر ، فأسرع (ممدوح) يلتقطه ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها ذلك المجنون من فوق الشجرة ، على بعد خطوات من (شيتان) ، وهو يمسك بيده آلة قاذفة للسهام ، صوَّبها نحو (شيتان) ، وهو يصرخ فى جنون :

ـ لن تأخذ دودتى .. لن تأخذها أبدًا ..

وأطلق سهمًا قاتلًا نحو (شيتان) ..

* * *

كانت المفاجأة مذهلة ، إلَّا أن (شيتان) انحنى فى سرعة ، متفاديًا السهم القاتل ، ثم تحرَّك فى سرعة ، فسدَّد ضربة مفاجئة سريعة إلى يد الرجل ، أطاحت بآلة قذف السهام ، ثم انقضَّ على الرجل ليجذبه من ثيابه ، ويحمله عاليًا ، ثم طرحه أرضًا فى قوة ..

وانتهز (ممدوح) فرصة القتال ، وأسرع يضغط السلكين فى الطوق الحديدى ، وعلى الرغم من سمك الطوق إلَّا أن السلكين غاصا فيه فى سهولة ، ثم لم يلبثا أن توهَّجا فى قوَّة ، وحدثت فرقعة مفاجئة ، انفصل على أثرها مخلبا الطوق ، ليحرِّرا عنق (ممدوح) ..

التقط (ممدوح) أنفاسه فى قوَّة ، وهو يدير عنقه يمنةً ويسرة ، محاولًا التغلب على آلام عنقه ، فى حين كان المجنون قد قفز واقفًا على قدميه ، وانطلق يجرى وسط الأشجار المتشابكة ، وهو يطلق ضحكاته المجنونة ، التى أخذت تتلاشى تدريجيًا مع ابتعاده ، حتى خبت تمامًا ..

قال (شيتان) فى دهشة :

ـ لست أفهم شيئًا !!.. من هذا الرجل ؟.. وما هذه الأشياء العجيبة التى يحملها ؟

ممدوح :

ـ إنه مختلّ العقل كما يبدو واضحًا ، ولكن كيف حصل على كل هذه المعدَّات العجيبة ؟ ومن الذى جاء به إلى هنا ؟ ولماذا ؟.

وفجأة .. أمسك (شيتان) ذراعه فى قوَّة ، وهو يقول فى توتُّر :

— يا إلهى !!.. استمع .

أصغى (ممدوح) فى قلق ، ثم لم يلبث توتُّر (شيتان) أن انتقل إليه ، فقد صك مسامعه صوت همهمات عالية ، وزمجرة وحشية تقترب فى سرعة ، وتتصاعد فى قوَّة ..

وفجأة .. برز أمامهما أربعة من (البونجو) ، انطلقوا نحوهم فى عدوانية ووحشية ، وفى عيونهم نظرات شرسة مخيفة ، وكانت أجسادهم تبدو منتفخة متضخِّمة على نحو غير عادى ، وقد أخذت أيديهم تنتزع وتقتلع كل ما يعترضهم ..

وكان هدفهم (ممدوح) و (شيتان) ..

* * *



٥ ــ حوادث مذهلة ..

تراجع (شيتان) و (ممدوح) فى ذهول ، وهتف الأول فى ذُعر :

— إنهم رجال (البونجو) ، ولكنهم يبدون فى حالة غير طبيعية .. إنهم لم يكونوا عدوانيين هكذا أبدًا .

التقط (ممدوح) غصنًا قويًّا ، وهو يهتف :

— فلنؤجِّل تفسير ذلك لما بعد .

ثم هوى بالغصن القوىّ فوق رأس أقرب المهاجمين إليه ، وتراجع فى دهشة ، حينما تبيَّن له أن ضربته القوية لم تؤد إلى أثر يذكر ، فقد بدا له هذا المخلوق الوحشى الذى يهاجمه ، وكأنه لا يعلم شيئًا عمّا يسىّ بالألم ..

فى نفس الوقت كان (شيتان) يحاول مقاومة المتوحشين بأسلوبه القتالى ، إلّا أن أحدهم طوَّق وسطه بذراعين كالفولاذ ، وحمله إلى أعلى ، ثم ألقى به وسط الأغصان المتشابكة ، وانقضّ عليه يحاول خنقه ، وهو يطلق صرخات وحشية مرعبة .

وحاول (ممدوح) أن ينقذ رفيقه ، إلّا أنه فوجئ بأصابع فولاذية تحيط بعنقه ، ورأى وجه رجل (البونجو) الذى يحاول قتله ، وسمع صرخته المفزعة على بعد سنتيمترات من وجهه ، وأصابعه تعتصر عنقه ..

وتحشرجت أنفاس (ممدوح) ، وجحظت عيناه فى قوة ، فقد كان قاب قوسين أو أدنى من الموت ..

* * *

فجأة ،.. توقّف كل شىء ..

تراخت الأصابع القاتلة من حول عنقه ، وترك رجال (البونجو) الآخرون رفيقه ..

شىء ما جعل رجال (البونجو) يتسمّرون فى أماكنهم ، ويشخصون بأبصارهم بعيدًا ..

كان ذلك الشىء مجموعة من أصوات عجيبة ، كفحيح الأفاعى ، أحاطت بالمكان ، وأخذت تقترب وتقترب ..

وفجأة .. برز أشخاص ستة ، لا يقلّ مظهرهم غرابةً عن رجال (البونجو) ..

كانوا صلعاء تمامًا ، صفر البشرة ، تمتلئ جلودهم ببقع خضراء ..

وكانوا يطلقون من حناجرهم ذلك الفحيح المخيف ..

وحدّق (ممدوح) و (شيتان) فى ذلك المشهد بذهول ، وبدأ رجال (البونجو) يطلقون صيحات وزمجرات وحشية ..

وفجأة .. اشتبك الفريقان ..

كان المشهد يبدو صراعًا وحشيًّا ، بين الأفاعى والحيوانات الضارية ، ولكن (ذوى الرءوس الصلعاء) أحاطوا رءوس (البونجو) بكفوفهم ، وواصلوا إطلاق فحيحهم العجيب ..

وتألّقت رءوس رجال (البونجو) فجأة كأنما تطلق شحنة كهربية قوية ، وأخذوا يصرخون فى رعب وألم ، ودوت صرخاتهم فى أرجاء الجزيرة ، قبل أن يسقطوا فجأة بلا حراك ، فى حين ظلّ (ذوو الرءوس الصلعاء) يرتجفون عدة لحظات ، وأجسامهم تشع بوميض مشابه ، ثم ما لبثوا أن سقطوا بدورهم إلى جوار رجال (البونجو) ..

واتسعت عينا (ممدوح) فى ذهول ..

لقد بدا له المشهد وكأنه إعداد خداعى فى فيلم من أفلام الرُّعب الخيالية ، والتفت إلى (شيتان) ، الذى لم يفارقه ذهوله بعد ، وقال فى انفعال .

— أرأيت مثل هذا من قبل ؟

شيتان :

ـــ لا .. مطلقًا !!.. إنها المرة الأولى التى أرى فيها مخلوقات بمثل هذه البشاعة .

اقترب (ممدوح) من المخلوقات العجيبة ، وأخذ يفحصهم فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـــ إنهم مازالوا على قيد الحياة ، ولكنهم فاقدو الوعى فحسب .

شيتان :

ـــ وهل ترى ما يحدث لرجال (البونجو) ؟

ممدوح :

ـــ نعم .. إن جلودهم تنتفخ وتنكمش فى تعاقب عجيب ، وبشكل مخيف .

وأرهف السمع لحظة ، ثم قال لرفيقه :

ـــ أصغ إلى هذه الأصوات .

شيتان :

ـــ إنها تبدو وكأنها أصوات محركات سيارات تقترب .

ممدوح :

ـــ فلنسرع بالاختفاء خلف هذه الأشجار ، أتعرف من هم هؤلاء الزائرون الجدد ؟

أسرع الاثنان يختفيان خلف الأشجار ، وانتظرا فى مكمنهما حتى وصلت إلى المكان ثلاث سيارات (جيب) ؛ هبط منها عدد من ذوى الأردية السود ، واقتربوا من (البونجو) و (ذوى الرءوس الصلعاء) الغائبين عن الوعى ، وقال من يبدو أنه قائدهم :

ـــ من الواضح أن المعركة بينهما قد استنفدت كل طاقاتهم ، ولا ريب أنهم سيظلون غائبين عن الوعى ساعات ، ولن يتسببوا فى مشاكل جديدة .. احملوهم إلى السيارات .

تقدَّم عدد من ذوى الأردية السود ينقلون الرجال إلى السيارات (الجيب) ، فى حين همس (شيتان) فى أذن (ممدوح) ، وهما يراقبان المشهد من مخبئهما :

ـــ إنهم نفس الرجال الذين رأيتهم يحملون رجال (البونجو) فى زوارقهم ، فى جزيرة (الأرجوان) .

أومأ (ممدوح) برأسه إيجابًا ، دون أن يحيد ببصره عن المشهد ، فى حين قال قائد ذوى الأردية السود فى لهجة آمرة :

ـــ ستنقسمون الآن مجموعات صغيرة ، وسيكون عليكم تمشيط المنطقة بحثًا عن المزيد منهم ، ثم تعودون بعد ثلث الساعة إلى هنا .

انطلق الرجال وهم يحملون أسلحتهم العجيبة ، واخترقوا الأشجار المتشابكة فى اتجاهات مختلفة ، وقد انقسموا ست مجموعات ، تتكوَّن كل منها من رجلين ، وهمس (ممدوح) فى أذن (شيتان) ، وهو يتراجع إلى داخل الأغصان المتشابكة :

ـــ سنقتنص اثنين منهم ، حينما يقتربان من هنا .

شيتان :

ـــ هل تقصد أننا سنرتدى ثيابهما ، وننضم للآخرين ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ يبدو أن ذكاءك لا يقلّ عن شجاعتك وبراعتك فى القتال يا صديقى .

اقترب رجلان من ذوى الأردية السود ، من مكمن (ممدوح) و (شيتان) ، وهما يسيران فى بطء وحذر ، ويتلفتان حولهما بحثًا عن المزيد من (البونجو) والصلعاء .

وفجأة .. انقضّ عليهما (ممدوح) و (شيتان) وكال (شيتان) لأحدهما لكمة قوية أفقدته الوعى على الفور ، وحينما حاول الآخر إطلاق سلاحه العجيب عليه ، عاجله (ممدوح) بضربه فى رأسه من الخلف ، جعلته يترنح ويفقد توازنه إلَّا أن هذا لم يمنعه من الالتفات إلى (ممدوح) ، وتصويب سلاحه إليه ،

ولكن قبضة (ممدوح) شقَّت الأغصان المتشابكة كالبرق ، وهبطت على فك الرجل ، الذى سقط كالجثة الهامدة ..

قال (ممدوح) وهو يقذف لفة من الحبال إلى رفيقه :

ـــ هيَّا .. ساعدنى على تقييدهما ، ولنسرع بارتداء ثيابهما .

نفذَّ (شيتان) ما طلبه (ممدوح) فى خفَّة ومهارة ، وألصق كلاهما شريطًا لاصقًا على فم خصمه ، ثم قيَّداهما فى جذعى شجرتين ، وأسرعا يرتديان ثيابهما ، ويضعان خوذتيهما على رأسيهما ، ثم التقطا سلاحيهما ، واتجها إلى حيث ينتظر القائد ، الذى لم يكد يلمحهما حتى سألهما فى اهتمام :

ـــ هل عثرتما على شىء ؟

أشار إليه (ممدوح) بسبَّابته نافيًا ، دون أن ينبس بحرف واحد ، فلوَّح القائد بذراعيه ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. اصعدا إلى سيارتكما ، فسنعود إلى القاعدة ..

واحتبست أنفاس (ممدوح) و (شيتان) ، فقد اقتربت لحظة الخطر الأعظم .

* * *

٦ ـــ قاعدة الشيطان ..

مضت نصف ساعة كاملة ، وسيارات (الجيب) تسير وسط تلك الغابة الكثيفة ، حتى وصلت إلى منطقة تشبه المناطق العسكرية ، بأبوابها المعدنيّة ، والأسلاك الشائكة المحيطة بها ، وبرجى الحراسة ، والعشرات من الحرّاس ذوى الأردية السود ، والخوذات المخيفة ، ولم تكد السيارات تعبر الأبواب الحديدية ، حتى فوجئ (ممدوح) و (شيتان) بذوى الأردية السود يخلعون خوذاتهم ، والتفت أحدهم يسأل (ممدوح) فى هدوء :

ــ لقد أصبحنا داخل القاعدة يا صديقى لِمَ لا تخلع خوذتك ؟

غمغم (ممدوح) فى صوت خافت ، حاول أن يخفى به نبراته :

ــ لا داعى للعجلة .

حدّق الرجل فيه فى دهشة ، وهتف وهو يتراجع فى سرعة :

ــ يا للشيطان !! .. إنك لست (ستيف) .. من أنت ؟

تكهرب الجو فجأة ، وأدار الجميع عيونهم نحو (ممدوح) فى دهشة ، وارتفعت فُوّهات أسلحتهم العجيبة نحوه ، وأسرع

الرجل يحاول انتزاع خوذته ، وهو يكرّر هتافه فى سخط وغضب :

ــ من أنت أيها الرجل ؟ ..

وانتزع الخوذة فى حركة حادّة ، ثم صاح فى غضب هائل :

ــ إنك جاسوس .. جاسوس يستحق القتل ..

* * *

لم يكن الموقف يحتمل إضاعة دقيقة واحدة ..

وكان على (ممدوح) أن يعمل فى سرعة ، وإلّا خسر كل شىء ..

وفى حركة سريعة أمسك (ممدوح) معصم الرجل الذى انتزع خوذته ، وأدار ذراعه فى عنف ليلويها خلف ظهره ، ثم جذبه إليه ، ووضع فوّهة سلاحه أسفل إبطه ، مصوّبًا إياه إلى الآخرين ، صائحًا فى صرامة :

ــ حذار أن تبدر من أحدكمْ حركة واحدة .. إلىّ يا (شيتان) .

أسرع إليه (شيتان) ، وهو يصوّب سلاحه إلى الرجال بدوره ، ولكن قائد ذوى الأردية السود صاح فى صرامة :

ــ لا تتردّدوا يا رجال .. أطلقوا أسلحتكم عليهما ..

ولم يكد يطلق صيحته حتى انطلقت من فوهات الأسلحة إشعاعات صفراء ، أصابت (شيتان) ، الذى ارتجف فى قوّة ، ثم سقط كالمشلول ، وقد تجمّدت حركته تمامًا ، ثم انطلقت أخرى لتصيب الرجل الذى يحتمى خلفه (ممدوح) ، وبات من الواضح أن هؤلاء الرجال لن يتوانوا عن التضحية بزميلهم من أجل نيل خصمهم ؛ لذا فقد دفع (ممدوح) أسيره بعيدًا ، وانطلق يعدو بكل ما يملك من قوّة ، والطلقات الإشعاعية الصفراء تلاحقه ، وهو يجيب بمثلها ، والقائد يصرخ فى غضب صارم :

ـــ لا تدعوه يفلت من بين أيديكم .

زاد (ممدوح) من سرعته ، وهو يعدو متخذًا مسارًا متعرّجًا ، وطلقات الأشعة تحيط به من كل جانب ، وتمرق فوق رأسه وإلى جواره ، وهو يجاهد للفرار وسط تلك الأبنية الصغيرة ، المتناثرة فى القاعدة ، وبينما كان القائد يتابع ما يحدث فى اهتمام ، ارتفع صوت عبر جهاز اللاسلكى الخاص فى سيارته يقول :

ـــ (بيتر) .. ما حصيلتك اليوم ؟

أسرع القائد يجيب فى انفعال :

ـــ لقد حصلنا على أربعة من (البونجو) ، وستة من المختلين عقليًا .

أجابه الصوت عبر جهاز اللاسلكى :

ـــ لماذا لم تأت لتسليمهم إلى المعملين : الرابع والخامس ، وتقدّم تقريرك للدكتور (هاملر) ؟

هتف القائد فى سخط :

ـــ لقد كشفنا وجود جاسوسين تسللا إلى القاعدة ، ولقد تمكّنا من أحدهما ، فى حين يطارد رجالى الثانى .

أجابه الثانى فى لهجة آمرة :

ـــ لا شأن لك بهذا .. إنه لن يغادر القاعدة حيًا أبدًا ، أكمل مهمتك ، وقدّم تقريرك إلى الدكتور (هاملر) بسرعة .

القائد :

ـــ أمرك يا سيّدى .

ثم صاح فى جنوده بغضب :

ـــ كفّوا يا رجال .. سيتكفل به رجال الأمن الداخلى .. هيّا بنا لتسليم حصيلتنا ..

وزفر فى ضيق ، قبل أن يردف مغمغمًا فى حنق :

ـــ لقد انتهت مسئوليتنا ..

* * *

توقّف (ممدوح) عن الجرى وهو يلهث ، أمام أحد المبانى الضخمة المنعزلة داخل القاعدة ، وأخذ يدور حول المبنى محاولًا



فتقدم إلى داخل المبنى فى حرص ، وهو يتشبث بسـلاحه ، ويشـهره فى تحفـز ..

البحث عن مخبأ جيِّد ، ولكن المبنى كان يبدو ككتلة خرسانية صمَّاء ، خالية من الأبواب والنوافذ تمامًا ، اللهم إلَّا بابًا فولاذيًا ضخمًا ، يتوسَّط أحد جدرانه الضخمة ..

وتوقَّف (ممدوح) أمام الباب الفولاذى يفكِّر فى وسيلة لاقتحامه ، وبينما هو مستغرق فى تفكيره ، انفتح الباب فجأة فى بطء ..

تراجع (ممدوح) فى حركة سريعة ، وهو يصوِّب فوَّهة سلاحه إلى الباب ، ولكنه لم يلبث أن تبيَّن عدم وجود أحد خلفه ، فعاد يقترب منه فى حذر ، وهو يتساءل : أيدخل أم يتراجع ؟.. أفخ هو أم باب إلكترونى انفتح بطريق المصادفة ؟

وتغلَّبت أخيرًا روح المغامرة فى أعماقه على حذره ، فتقدَّم إلى داخل المبنى فى حرص ، وهو يتشبَّث بسلاحه ، ويشهره فى تحفز ..

كان المكان حالك السواد ، تقدَّم داخله (ممدوح) فى حذر بالغ ، ولم يكد يخطو بضع خطوات حتى تحرَّك الباب فجأة ، وانغلق خلفه ، ووجد (ممدوح) نفسه غارقًا فى ظلام دامس ، وسط مصير مجهول ..

* * *

أرهف (ممدوح) سمعه وهو يتقدَّم وسط الظلام ، دون أن يتبيَّن إلَّا صرير حذائه ، فرفع الغطاء الخارجى لساعة يده ،

كاشفًا عن ضوء فسفورى خافت ينبعث أسفله ، واستعان به فى متابعة سيره داخل المكان ، الذى بدا وكأنه ممر أجوف بلا نهاية ..

وفجأة دوّى فى المكان صوت صرخات هستيرية قوية مفزعة ، جعلته يتسمَّر فى مكانه ، ولم يكد يوجّه ضوء ساعته الفسفورى الخافت إلى مصدر الصرخات ، حتى تراجع فى ذعر ، وعيناه تتسعان عن آخرهما ..

لقد كان هناك عشرات الأيدى تمتد إليه عبر قضبان حديدية فى جانب الممر ، محاولةً الإمساك به ، فتراجع فى توتُّر ، ورفع ضوء ساعته فى وجوه أصحاب تلك الأيدى ، وقد اعتراه ذهول شديد ..

كان هناك عشرات من الرجال ، فى حالة ثورة جنونية عارمة خلف ذلك السجن من القضبان الحديدية ، وكان مرآهم يبعث الرعب فى قلوب أشد الرجال جسارة ..

تراجع (ممدوح) فى توتُّر ، ولم يكد يفعل حتى اهتزت الأرض أسفل قدَميْه ، وأخذت تدور حول نفسها بطريقة حلزونية ، وهى تهبط به إلى أسفل ..

وحاول أن يتشبَّث بأى شىء .. أى شىء ...

ولكن تلك الحركة الدورانية ، أصابته بدوَار شديد ، لم يلبث معه أن فقد وعيه ، وهو يهبط نحو المجهول ..

* * *

٧ ـ تجارب غامضة ..

استردّ (ممدوح) وعيه فى بطء ، ولم يكد عقله يسترجع صفاءه ، حتى وجد نفسه داخل غرفة صغيرة ضيقة ، وحوله سبعة رجال يبدون فى حالة ضعف وإعياء ، وتبيَّن بينهم صديقه (شيتان) ، الذى غمغم بابتسامة شاحبة باهتة :

ــ مرحبًا يا صديقى .. ألا تعرف هؤلاء الأشخاص ؟.. إنهم أعضاء البعثة الذين تبحث عنهم .

حدَّق (ممدوح) فى وجوه الرجال المصفرة الكالحة ، وفى لحاهم الطويلة ، التى تكاد تخفى معالمهم ، وتوقَّفت عيناه فوق أحد الوجوه ، وهو يهتف :

ــ الدكتور (زهدى) ؟!

فتح الدكتور (زهدى) عينيه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ــ هل تعرفنى ؟

ممدوح :

ــ أنا ضابط مصرىّ ، حضرت إلى هنا خصيصًا للبحث عنك .

غمغم الدكتور (زهدى) فى يأس :

ـــ هأنتذا تنتهى إلى نفس المصير .. سجينًا فى غرفة منعزلة ، تحيا فيها على كسرات من الخبز ، وجرعات صغيرة من الماء ، تكاد تكفى لإقامة صلبك ، ما الذى أتى بك إلى هذه الجزيرة الملعونة بالله عليك ؟

قال (ممدوح) مشجِّعًا :

ـــ لا تخف يا سيِّدى .. لقد جابهت ما هو أكثر وأشدّ هولًا من ذلك ، وسأخرجكم من هذا السجن البشع بمشيئة الله ، ولكن أخبرنى أولًا ، ماذا يدور فى هذه الجزيرة بالضبط ؟

الدكتور (زهدى) :

ـــ لقد وقعنا فى قبضة مجنون .. لست أدرى ماذا يفعل هنا بالضبط ، ولكن الصرخات والأصوات التى نسمعها ليلًا ونهارًا ، تجعلنى أؤكد أن شيئًا فظيعًا يحدث هنا ، فضلًا عن تلك التعبيرات الغامضة ، والكلمات المبهمة ، التى قالها لنا ذلك المجنون ، إنه لم يفسِّر لنا سر اختطافنا ، وإحضارنا إلى هنا مع (البونجو) ، ولكن لا ريب أنه سيقضى علينا فى تجاربه الجنونية .

لم يكد الدكتور (زهدى) يتم عبارته حتى تحرَّك سقف

الغرفة العلوى ، كاشفًا قبة زجاجية سميكة ، وقف وراءها ذلك الرجل ذو اللحية البيضاء ، مرتديًا منظاره الطبى ، ومعطفًا أبيض اللون ، وخلفه وقف ثلاثة رجال ، وبدت ابتسامته المقيتة مزيجًا من السخرية والظفر والشماتة والغطرسة ، وهو يشعل غليونه فى برود ، ويقول عبر مكبِّرات الصوت :

ـــ أنا هو ذلك المجنون أيُّها السَّادة .. أنا سيِّدكم .. البروفيسير (هاملر) .

وتألَّقت فى عينيه نظرة جنونية مخيفة ..

* * *

تطلَّع الجميع فى توتُّر إلى ذى اللحية البيضاء ، الذى نفث دُخَان غليونه فى غطرسة ، وهو يستطرد بابتسامة صفراء باردة :

ـــ إنكم تردِّدون نفس الكلمات التى ردَّدها أولئك العلماء الأغبياء من قبل ، حينما عرضت عليهم نتائج أبحاثى للمرة الأولى .. لقد اتهمونى بالجنون ، ووصفوا تجاربى الرائعة بأنها تجارب جنونية خطرة ، بل أكثر من ذلك ، لقد فصلونى من أكاديمية العلوم الألمانية ، ووصل بهم الأمر إلى تهديدى بإيداعى السجن ، أو مصحة ، عقلية ، لو أننى واصلت أبحاثى ، ولما كنت لا أستطيع التوقف ، فقد فررت من (ألمانيا) واشتريت

هذه الجزيرة بجزء من ثروتى الضخمة ؛ لأواصل فيها تجاربى وأبحاثى ، حول أعظم مكتشفات العصر .. ولقد احتفظت بكم لأنكم أعضاء بعثة علمية ، تابعة لهيئتى الأمم المتحدة والصليب الأحمر ، أى أنكم تمثلون المجتمع الدّولى كلّه ، وستكونون شهودًا على نجاح تجاربى ، ولقد انضمّ إليكم رجل يمثّل أحد أجهزة الأمن ، وآخر من مواطنى (سيامستان) ، وستنقلون ما ترونه إلى العالم أجمع .

ختم البروفيسير (هاملر) خطبته بضحكة جنونية ظافرة ، مع حركة سطح الحجرة ، الذى عاد ينغلق من جديد ، مخفيًا القبة الزجاجية خلفه ، والتفت (ممدوح) إلى الدكتور (زهدى) ، يسأله فى دهشة :

ـــ ما معنى هذا ؟.. هل يستخدم ذلك المجنون الجزيرة لإجراء بعض التجارب ، ويريد منا أن نكون شهودًا على جنونه ؟

الدكتور (زهدى) :

ـــ هذا يعنى أنه سيطلق سراحنا عند نجاح تجاربه ، حتى نعلن ذلك للعالم أجمع ، فمن الواضح أن جنونه يعود إلى عقدتى الغرور والعظمة ، وهو يحتاج إلى من يعترف له بذلك .

ممدوح :

ـــ هذا يعنى أيضًا أنه سيتخلص منا فى حالة فشل تجاربه ، حتى لا نكون شهودًا على ذلك .. ولكن ما نوعية هذه التجارب ؟

الدكتور (زهدى) :

ـــ أعتقد أن هذه التجارب تتعلّق بـ (البونجو) ، وأنه يرسل رجاله لاختطافهم من أجل ذلك .

تدخّل (شيتان) فى الحديث ، قائلًا :

ـــ لقد رأينا آخرين فوق الجزيرة ، بخلاف (البونجو) ، وكلهم يبدون فى حالة غير طبيعية ، بل والأعجب من ذلك أن البعض منهم كانت تصدر عنه شرارات كهربية .

ممدوح :

ـــ وهناك آخرون مسجونون داخل القاعدة ، فى أقفاص حديدية ، ولا يبدو عليهم أدنى أثر للإدراك والوعى .

وفجأة اقتحم الغرفة عدد من الأشخاص ، يتقدّمهم رجل طويل القامة ، يرتدى نفس الرداء الأسود المميّز ، وأشار إلى الأسرى ، قائلًا فى لهجة آمرة ، صارمة :

ـــ خذوهم إلى المعمل الخامس .

ودفع الرجال (ممدوح) ورفاقه فى خشونة إلى خارج الغرفة ، واتجهوا بهم إلى المجهول ..

إلى المعمل الخامس ..

* * *

٨ ـ ضحايا الشيطان ..

وقف الدكتور (هاملر) وسط معمله المكتظ بأحدث الأجهزة والمعدّات العلمية ، مرتديًا معطفه الأبيض ، وواضعًا يديه فى جيبى معطفه ، ومبتسمًا تلك الابتسامة الصفراء الباردة ، وهو يتأمّل فى (ممدوح) ورفاقه ، ثم قال فى برود :

ـ هل أعجبكم معمل أبحاثى ؟ .. إنه واحد من ستة معامل علمية أمتلكها فوق هذه الجزيرة ، حيث أجرى تجاربى المختلفة .

(ممدوح) :

ـ إننا لا ندرى حتى هذه اللحظة ما الذى تدور حوله أبحاثك وتجاربك هذه ؟

(هاملر) :

ـ لقد جئت بكم إلى هنا لهذا السبب .. إننى لن أضيع الوقت فى شرح تفاصيل معقدة، لن تستوعبها عقولكم قط ، ولكننى سأضرب لك مثالًا بسيطًا للغاية ، إن زملاءك قد حرموا وجبات الغذاء منذ عدة أيام ، وهذا يجعلهم فى حالة ضعف وإعياء بالغة ، لها تأثير ولاشك على أجسادهم وعقولهم .. إن

نشاطهم العقلى أصبح محدودًا مشوّشًا ، بسبب النقص الشديد فى المواد الغذائية ، وسأجرى أمامك الآن تجربة بسيطة على أحدهم ، لأبيّن لك مدى التأثير الذى يمكننى إحداثه على النشاط العقلى ، فى حالة تعرّض الذهن لظروف غير طبيعية .

وبإشارة من يده ، أسرع ثلاثة من رجاله المسلحين يمسكون بأحد أعضاء البعثة ، ويجذبونه إلى جهاز خاص ، يشبه كابينة هاتف زجاجية ، فصاح (ممدوح) فى غضب :

ـ كيف تستخدم إنسانًا على هذا النحو ، مثل حيوانات التجارب .. إنه عمل إجرامى بشع !!

وحاول أن يتدخّل ، إلّا أن المسلحين الآخرين اعترضوا طريقه فى خشونة ، فى حين قيّد الآخرون الرجل الذى وقع عليه اختيار (هاملر) ، بعدد من الأسلاك المعدنية ذات الأشكال والألوان المختلفة ، حول يديه وقدميه داخل الكابينة الزجاجية ، ووضع أحدهم ما يشبه سمّاعات الاستماع الخاصة حول أذنيه ، وأغلقوا الكابينة ..

بدا المسكين فى حالة مفزعة من الرعب والهلع ، وهو يحاول التخلص من قيوده ، فى حين سار الدكتور (هاملر) إلى الكابينة الزجاجية فى هدوء ، وضغط عدة أزرار فى جدارها الداخلى ،

فجحظت عينا الرجل ، وانتفض جسده فى قوة ، ثم أطلق صرخة ألم ورعب مفزعة ..

لقد كان يعانى سكرات الموت ..

* * *

شعر (ممدوح) بالغضب يعصف بنفسه ، وحاول مرة ثانية أن يتدخَّل ، ولكن ذوى الأردية السود اعترضوا طريقه فى صرامة ، وأسلحتهم مشهورة فى وجهه ، فلم يملك إلّا الصمت ، والانتظار ، حتى أوقف (هاملر) جهازه ، وأخرج الرجل الذى سقط فى غيبوبة عميقة ، من شدة الألم والرعب ، وأخذ يضرب صدغيه فى قوة ، وكأنما يحاول إيقاظه ..

واستيقظ الرجل ..

استيقظ فى حالة من الذهول والجمود ، لم تلبث أن تلاشت تدريجيًّا ، فسأله الدكتور (هاملر) فى هدوء :

ـــ بِمَ تشعر الآن ؟

الرجل :

ـــ أشعر بنشاط عقلى عجيب .. إننى أتذكّر أحداثًا من الماضى البعيد بكل وضوح .. بل إن هناك أشياء أخرى مبهمة تدور فى عقلى بسرعة عجيبة .. وأشعر برغبة ملحة فى كتابة أو عمل أشياء لست أدرى كنهها بالتحديد .

الدكتور (هاملر) :

ـــ ها هو ذا نموذج مبسَّط للغاية من مقدرتى على التأثير فى النشاط الذهنى ، حينما يكون العقل فى ظروف غير طبيعية .. إنها كما ترون من أعظم الكشوف وأكثرها فائدة للبشرية ، ومع ذلك حاربونى عندما عرضتها عليهم .. ولكننى صممت على الاستمرار ، وكلَّفت رجالى اختطاف وإحضار مجموعة ضخمة من المتخلفين ، وفاقدى الإدراك ، وذوى العقول البدائية ، لأبدأ عليهم تجاربى العلمية ... إن لدى هنا فى هذه الجزيرة ستين شخصًا من (البونجو) ، ومثلهم من ذوى العاهات العقلية ، والتجارب التى أجريتها لا تقتصر على شفائهم من الجنون والتخلف العقلى ، ولكنها تمتد إلى إحداث تأثير بالغ فى نشاطهم العقلى ، فيصبحون أكثر تطورًا وذكاءً من الشخص العادىّ ، وهذا هو التحدى الحقيقى .. تحويل مجنون متخلِّف إلى أذكى رجل فى العالم .

(ممدوح) :

ـــ وما الضمان لديك لنجاح هذه التجارب ؟

أشار الدكتور (هاملر) إلى رأسه قائلًا :

ـــ هذا .. الضمان هو عقلى وعبقريتى وذكائى .. عقلى الذى

أوصلنى خلال سنوات طويلة من البحث والدراسة إلى إنجاز مثل هذا العمل الهائل ، الذى فشل فيه الآخرون ، بل الذى لم يحلم به أحد من قبل .

(ممدوح) :

ـ ولكننى رأيت بعضًا من إنجازاتك على سطح الجزيرة .. رأيت رجلًا حوَّلته تجاربك من مجنون إلى عبقرى مجنون ، فابتكر آلة عجيبة ليحيطنى بخيوط صناعية ، كما لو كنت دودة داخل شرنقة ، ورأيت رجالًا من (البونجو) حوَّلتهم تجاربك إلى حيوانات وحشية ضارية ، أكثر عدوانية وتخلفًا عن ذى قبل ، ورأيت آخرين كالأفاعى ، شُحِنَتْ أجسادهم بطاقات كهربية مجهولة .. هذه هى نتائج تجاربك العظيمة أيها العبقرى .. إنها لم تنتج إلا ضحايا .. أشباه آدميين استخدمتهم قصرًا لتحقيق مآربك الشخصية ..

هتف (هاملر) فى غضب ، وكأنما فوجئ بذلك الامتهان لعبقريته :

ـ إنك تقصد تلك المجموعة من الأشخاص ، التى فرت من معاملنا منذ عدة أيام !.. لقد كانوا تجارب فاشلة فى المرحلة الأولى ، ولقد استعادهم رجالى ، وسنضعهم تحت الملاحظة ،

وسأستخدم طرقًا جديدةً لعلاجهم ، ولا تنس أن أية كشوف علمية تمر ببعض مراحل الخطأ فى البداية .

ممدوح :

ـ الخطأ ؟!.. هل تسمى العبث بأولئك المساكين مجرد خطأ ؟!.. كلَّا يا دكتور (هاملر) .. إنها جرائم .. جرائم بشعة ، ستذكرها الإنسانية مهما حقَّقت من نجاح فى المستقبل .

احتقن وجه (هاملر) فى غضب ، وأسرع يزيح الستار عن أحد جوانب المعمل ، كاشفًا عددًا من التوابيت الزجاجية ، التى يرقد فيها رجال (البونجو) ، و (ذوو الرءوس الصلعاء) كالموتى ، وصاح فى حنق :

ـ انظر إلى هؤلاء .. لقد أجريت عليهم عدة عمليات معقَّدة ، سترى نتائجها بعد نصف ساعة فقط ، وحينما يستردون وعيهم ، وتشاهد ما آل إليه أمرهم ستعرف كيف ستتجاوز الإنسانية عن الأخطاء الأولى ، وكيف سيقيمون لى التماثيل فى الشوارع والميادين العامة ..

لم يكد يتم عبارته حتى اندفع أحد رجاله إلى المعمل ، وصاح فى توتُّر :

ـ سيِّدى .. هناك أعداد كبيرة من الزوارق الحربية تحوم

حول الجزيرة ، وبها مئـات من الجنـود التابـعين لجيش (سيامستان) .

هاملر :

ـــ ماذا ؟!.. ولِمَ يحومون حول جزيرتى ؟

الرجل :

ـــ لست أدرى يا سيِّدى .. ولكن قائدهم يطلب السماح له بالهبوط فوق الجزيرة ، ويطلب مقابلتك .

هاملر :

ـــ اصحبوه إلى القصر ، وسآتى لمقابلته على الفور ، أما عن أفراد البعثة ورجل الأمن ورفيقه ، فأعيدوهم إلى السجن .. لا أريد أيَّة مضايقات حتى أنتهى من أمر هذا الدخيل .. هل تفهمون ؟ لا أريد أيَّة متاعب أو مضايقات ..

★ ★ ★



٩ ـــ النتيجة المخيفة ..

صافح (هاملر) القائد العسكرىّ فى برود ، بعد أن خلع معطفه ، وارتدى ثيابًا توحى بكونه مليونيرًا خاملًا مرفَّهًا ، وسأله فى هدوء :

ـــ هل لى أن أعرف سبب قيادتك لهذه الحملة العسكرية على جزيرتى يا كولونيل ؟

أجابه الكولونيل فى صرامة :

ـــ لقد أعلنت (كوران) الحرب رسميًّا على دولتنا ، وبمقتضى ذلك أصبحت كل المناطق والجزر التابعة لدولة (سيامستان) تحت سيطرة القيادة العسكرية العليا ، بما فى ذلك جزيرتك يا سيِّدى ، وذلك حتى يمكننا اتخاذ كل الإجراءات وسبل الدفاع اللازمة لحماية دولتنا .

الدكتور (هاملر) :

ـــ ولكننى أمتلك هذه الجزيرة ، ولا يحق لكم ..

الكولونيل :

ـــ خطأ يا سيِّدى لقد استأجرتها فقط لمدة عشرين عامًا ،

ونصوص العقد المبرم بينك وبين حكومتنا تؤكد حق الدولة فى بسط نفوذها على الجزيرة فى حالات الطوارئ ، وفقًا لمقتضيات الأمن والمصالح العليا ، وبمقتضى هذا النص قررّنا وضع الجزيرة تحت السيطرة العسكرية لبعض القوات ، التى ستعقبها قوات أخرى ، وفقًا للاستراتيجية الموضوعة .

الدكتور (هاملر) :

ـــ ولكنك لا تستطيع أن تفعل ذلك ، فلدىّ هنا منشآت ومشاريع و ..

الكولونيل :

ـــ سنتولّى حمايتها بأنفسنا من أى عدوان يا سيِّدى .

الدكتور (هاملر) :

ـــ إننى أستطيع الدفاع عن ممتلكاتى ، ولا أريد أية قوات عسكرية فوق جزيرتى .

الكولونيل :

ـــ آسف يا دكتور (هاملر) .. إنك تضطرنا فى هذه الحالة إلى الاستيلاء على جزيرتك بالقوة .

ضغط الدكتور (هاملر) على زر صغير فى مكتبه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ لست أنصحك بذلك يا كولونيل ، فلن أسمح لأى مخلوق ، مهما بلغ منصبه ، أن يفسد مشاريعى هنا ..

ثم التفت إلى رجاله ، الذين قدموا على أثر رنين الجرس ، وقال فى حِدَّة ، وهو يشير إلى الكولونيل :

ـــ اقبضوا على هذا الرجل ، وألقوا به فى الزنزانة رقم أربعة عشر .

* * *

جاء وقع الأمر كالصاعقة بالنسبة للكولونيل ، الذى لم يحاول مقاومة رجال (هاملر) وهو يعقد حاجبيه فى غضب ، قائلًا :

ـــ إنك ترتكب خطأً فادحًا يا دكتور (هاملر) ، فما لم أُعد إلى رجالى خلال نصف الساعة ، فسيبدءون فى تنفيذ خطة احتلال الجزيرة تلقائيًا .

هتف (هاملر) لقائد رجاله فى صرامة :

ـــ ستمنعون أولئك الدخلاء من وطء الجزيرة بأقدامهم ، حتى لو اقتضى الأمر استخدام القوَة ، لن أسمح لأى شىء بإفساد تجاربى ، حتى حربهم الحمقاء هذه .

بدا القلق على وجه القائد ، وهو يقول فى تردُّد :

ــ ولكنها قوات عسكرية مدرَّبة يا سيِّدى .. وحتى لو نجحنا فى صد هجومهم الأول ، فسيعقبونه بهجوم أعنف ، ولن نستطيع الصمود أمام جنودهم وطائراتهم .

عنفه (هاملر) فى غضب :

ــ نفِّذ الأمر أيُّها الغبىّ ، وامنع هؤلاء الأوغاد من الهبوط فوق الجزيرة ، مهما كان الثمن .

انصرف القائد وهو غير مقتنع بهذا الأمر المتهوِّر ، فى حين أسرع (هاملر) إلى المعمل الخامس ، وهو يتابع عقارب ساعته فى قلق ، منتظرًا انتهاء تجربته الحاسمة .

* * *

تقدم (ممدوح) ورفاقه أمام أربعة حرَّاس مسلحين ، نحو الغرفة التى أعدت لسجنهم ، وهمس (ممدوح) فى أذن (شيتان) فى أثناء سيرهم فى ذلك الممر الطويل المؤدى إلى السجن :

ــ هل يمكنك حماية أفراد البعثة ، إذا ما هاجمت أنا الحرَّاس ؟

شيتان :

ــ نعم .. المهم أن أحصل على أحد أسلحتهم العجيبة .

ممدوح :

ــ استعد إذن .

ثم دسَّ يده أسفل ردائه فى هدوء ، مستغلًّا مرورهم فى منطقة مظلمة ، واستطاع أن ينزع من فوق معدته غشاءً رقيقًا يلتصق بجلده ، ويتخذ نفس لونه ومظهره ، حتى ليصعب التمييز بينهما ، والتقط من أسفله ما يشبه موسى الحلاقة ، التى بدت وكأن نصلها يبرق على الرغم من الظلام ، وتباطأ فى سيره ليسمح لأفراد البعثة بتقدمه إلى داخل غرفة السجن ، ثم استدار فى سرعة خاطفة ، وألقى بالآلة الحادة نحو أقرب الحرَّاس إليه ..

وأطلق الحارس صرخة ألم عالية ، حينما انغرزت الآلة الحادة فى قصبته الهوائية ، وأسرع (شيتان) يلتقط سلاحه فى سرعة ، وارتفعت فوَّهات أسلحة الحرَّاس الآخرين ، وبدأ القتال ..

* * *

كان (شيتان) هو الأسبق فى الإطلاق .. ربَّما لأنه لم يتعرَّض لعامل المفاجأة ، الذى أصاب الآخرين ، فقبل أن يطلق أحد الحرَّاس سلاحه ، كان سلاح (شيتان) يطلق نحوهم دفعات متتالية من القذائف الصاروخية ، فسقط بعضهم صريعًا ، فى حين حاول البعض الآخر الاحتماء بالظلام ، وأخذ (شيتان) يضحك فى سخرية صائحًا :

— أخيرًا .. ها هى ذى الأسلحة الحقيقية ..

واختطف (ممدوح) مدفعًا آخر ، وشارك (شيتان) فى إطلاق القذائف الصاروخية ، وسقط من بقى من الحراس عدا أحدهم ، الذى تراجع فى سرعة ومهارة ، وهو يطلق قذائفه ، دون أن ينتبه إلى تلك الأيدى التى امتدت إليه من وراء القضبان الحديدية ..

وفجأة أطبقت أيدى المختلين عقليًا على ذراعيه وكتفيه وعنقه ، واتسعت عينا الرجل فى ذعر ، وأطلق صرخة رعب اختلطت بصرخات المخبولين الهستيرية ، وهم يخنقونه ، ويمثّلون به ، فى حين صاح (ممدوح) :

— إلى الخارج جميعًا .. إلى المعمل الخامس ، وليبق (شيتان) لحماية المؤخرة .

وأسرعوا يركضون جميعًا وسط الرعب والصرخات ..

وسط قضبان الموت ..

* * *

لم يكد (ممدوح) ورفاقه يصلون إلى المعمل الخامس ، حتى تسمَّروا أمام أبشع المشاهد وأبعثها للرعب ..

كان أولئك الأشخاص داخل التوابيت الزجاجية قد استعادوا وعيهم ، فأخذوا يحطِّمون توابيتهم فى ثورة ، وقفزوا منها وقد تحوَّلت أصواتهم إلى حشرجات مخيفة ، وأخذوا يدمِّرون

كل ما يقابلهم فى هياج ووحشية ، أما مظاهرهم فقد بدت أبشع مما يمكن أن يتخيَّله بشر ..

كان بعضهم ينزف الدماء من عينيه ، أو أجزاء جسده ، والبعض الآخر يصدر تلك الومضات العجيبة من رأسه ، وآخرون يدورون حول أنفسهم ، وهم يترنحون كالسكارى .

وعلى الرغم من الذهول الذى سيطر على أفراد البعثة ، إلَّا أن (ممدوح) أسرع يتخذ دور القائد المسئول ، وهو يهتف بهم :

— لا وقت لدينا للدهشة والذهول ، لابدَّ أن نسرع بمغادرة هذه القاعدة الملعونة .. هيَّا بنا .

لم يكد يتم عبارته حتى لمح الدكتور (هاملر) ، وهو يرتجف مذعورًا ، ويحاول الفرار من تلك المسوخ البشرية التى صنعها ، فأسرع إليه ، وصوَّب سلاحه إلى رأسه وهو يقول فى غضب :

— إلى أين يا (هاملر) ؟.. هل تفرّ من نتائج تجاربك العبقرية ؟.. أرأيت ماذا قدَّمت للبشرية ؟.. إنك لن تفر من جرائمك بهذه السهولة .

ثم أردف فى صرامة :

— تقدَّمنى .. فستكون الدرع الواقية لنا ، فى طريق خروجنا من هذا المكان الملعون .. هذا لو قدِّر لنا أن نغادره أحياء ..

* * *

١٠ ـ الانتقام الرهيب ..

تحوّلت جزيرة (بومو) فى ذلك اليوم إلى جحيم مستعر ، فعلى سواحلها تدور معارك رهيبة بين القوات العسكرية السيامستانية ، وعصابات (هاملر) المسلحة ، انتهت بهبوط مئات من الجنود السيامستانيين على شواطئ الجزيرة ، وفى الداخل كانت هناك معارك أخرى مخيفة ، بين عشرات المسوخ ، الذين تخلّوْا عن سجنهم ، وبين البقية من أعوان (هاملر) ..

وتمكّنت أعداد كبيرة من أولئك المسوخ من الفرار من القاعدة ، بعد أن حطّموا كل شىء فى طريقهم ، وانطلقوا فى ثورة جنونية مخيفة ..

وفى هذه الأثناء ، كان (ممدوح) ورفاقه يبحثون لأنفسهم ـ وسط كل ذلك ـ عن وسيلة للهروب من هذا الجحيم ، بعد أن مكنهم أسرهم لـ (هاملر) من الخروج من القاعدة ..

وتقدّم عدد من الجنود السيامستانيّين نحو قصر (هاملر) ، ونشبت بينهم وبين البقية الباقية من أعوانه معركة سريعة ، انتهت

باحتلالهم القصر ، ولكن لم يكد بعضهم يقتحمه حتى بدأ الفصل الثانى من سيمفونية الرعب ..

لقد أصيبت الجنود برعب هائل ، وفزع رهيب ، حينما انقضّ عليهم مسوخ (هاملر) ..

ولم يصدّقوا أعينهم ، وهم يتراجعون أمام تلك المخلوقات البشعة ، التى بدت أقرب إلى كائنات فضائية من عوالم أخرى ، وهم يحطّمون ويدمّرون كل ما يقابلهم .

ولم يقتصر الأمر على الكتيبة التى هاجمت قصر (هاملر) ، فقد التقت أعداد أُخرى من الجنود بالمسوخ الفارة فى أنحاء الجزيرة المختلفة ، فأطلق عليهم بعضهم النار فى عصبيّة وتوتُّر ، فى حين فرّ البعض الآخر فى ذعر هائل ..

وسادت الجزيرة حالة من العنف والفوضى لا مثيل لها ..

ونال (ممدوح) ورفاقه نصيبهم من هذا العنف ، حينما اعترضتهم مجموعة من المختلين عقليًّا ، وحاصرتهم فيما يشبه الحلقة ، وفى يد كل منهم شعلة من النيران ، يلقيها نحوهم ، وهم يطلقون صرخاتهم الجنونية الهستيرية ..

وأُشفق (ممدوح) من استخدام العنف ضد هؤلاء المساكين ، ولكنه لم يجد بدًّا من ذلك دفاعًا عن حياته وحياة رفاقه ، فأخذ

هو و (شيتان) يطلقان مدفعيهما الصاروخيين نحو المسوخ ، الذين تساقطوا مع صرخاتهم الفزعة المتألِّمة ..

واشتعلت النيران فى الحشائش والأغصان الجافة ، وفى جذوع الأشجار ، وامتدت فى سرعة خطيرة ، فصاح (ممدوح) :

ـــ ابتعد يا (شيتان) .. اصحب رجال البعثة وابتعد .

صاح (شيتان) معترضًا :

ـــ ولكنك ستحترق .

(ممدوح) :

ـــ افعل ما آمرك به .. ابتعد سريعًا .. يجب أن أبقى بضع لحظات ، حتى أحول بين أولئك المجانين وبينكم .

نفَّذ (شيتان) ما أمره به (ممدوح) ، وأمر أفراد البعثة بالإسراع للهروب ، ولكن الدكتور (زهدى) اعترض ، قائلًا :

ـــ كلَّا .. لن أتخلَّى عن أحد أبناء وطنى ، وأتركه يجابه الموت وحْدَه .

وحاول أن يختطف سلاح (شيتان) ، إلَّا أن هذا الأخير عاجله بضربة ماهرة ، أفقدته الوعى ، ثم أسرع يحمله ، وهو يقول :

ـــ آسف يا صديقى ، ولكن الظروف العصيبة تحتاج إلى قائد واحد ، وتضارب الآراء قد يؤدِّى إلى مصرعنا جميعًا ..

ثم اختلس النظر إلى (ممدوح) ، وغمغم وهو يقود أفراد البعثة بعيدًا ..

ـــ ولقد اخترنا خير قائد .

* * *

وقف (ممدوح) بمفرده يجابه ثورة المسوخ ، وهو يحاول منعهم من اللحاق برفاقه ، مستخدمًا طلقات مدفعه الصاروخية ، وتساقط بعضهم صرعى ، فى حين أخذ الباقون يقذفونه بشعلاتهم النارية ، وعلى الرغم من تفاديه لها ، إلَّا أن هذا لم يمنع اشتعال الأغصان والأعشاب من حوله ، حتى أنه لم يكد ينتهى من القضاء على آخر المسوخ ، ويحاول اللحاق برفاقه ، حتى وجد نفسه محاصرًا بدائرة كبيرة من النيران ، التى تسرى بسرعة مذهلة مقتربةً منه ..

وتلفَّت (ممدوح) حوله بحثًا عن مخرج وسط دائرة النيران ، وقد أحسَّ بدنو أجله مع لفحات النيران التى كادت تلامس جسده ..

ولمح غصن شجرة قويًّا ، يتدلَّى فوقه ، ولم تصل إليه النيران بعد ، فقفز محاولًا التعلق به ، إلَّا أن الغصن بدا بعيدًا ، والثوانى تمضى فى سرعة مذهلة ، ولفح النيران بات ملهبًا ، مؤلمًا ..



مكنته قفزته من القبض على الفرع المتدلى بأطراف أصابعه ، وطوح بجسده إلى الأمام ليعبر حاجز النيران ..

وجمع (ممدوح) كل إرادته وإصراره ورغبته فى البقاء فى قفزة واحدة ..

قفزة هائلة ، جعلته يبدو كمحترف الوثب العالى ، ولكنها نجحت ..

مكّنته قفزته من القبض على الفرع المتدلّى بأطراف أصابعه ، وطوّح بجسده إلى الأمام ، ليعبر حاجز النيران ..

ولكن فجأة ارتفع صوت مخيف من طرف الغصن ..

صوته وهو يتهشّم تحت ثقل (ممدوح) ، الذى وجد نفسه يسقط وسط النيران ..

* * *

كان السقوط حتميًا وسط النيران ، وبدا الأمر وكأنه النهاية ، وسط أتون مشتعل ، ولكن نفس غريزة البقاء ، التى جعلت (ممدوح) يثبت إلى هذا الارتفاع ، هى التى جعلته يقفز مرة أخرى فى الهواء ، ليتشبّث بغصن آخر ، قبل أن تحتضنه ألسنة النيران الملتهبة ، ثم ينتقل منه إلى فرع ثالث ، ورابع ، قبل أن يرتقى شجرة اقتربت منها النيران ، ويقفز منها إلى شجرة ثانية ، ثم إلى الأرض ، مبتعدًا عن النيران الزاحفة ، وانطلق يعدو للحاق برفاقه ، الذين أخذوا يهللون فى فرح عند رؤيتهم له ، واحتضنوه فى

حرارة ، وهم يهنئونه بالنجاة ، ولكن (ممدوح) تلفَّت حوله فى قلق ، وهو يسأل (شيتان) :

ـــ أين (هاملر) ؟

(شيتان) :

ـــ لقد انتهز حالة الفوضى التى ألمَّت بنا لحظة فرارنا من النيران ، ولاذ بالفرار .

(ممدوح) :

ـــ ولماذا تركته يهرب منك ؟

(شيتان) :

ـــ كنت مخيَّرًا بين أن أطارده ، أو أبقى لحماية أفراد البعثة ، ولقد اخترت القرار الأخير .

ربَّت (ممدوح) على كتفه قائلًا :

ـــ أحسنت اتخاذ القرار يا صديقى ، وأنا واثق أن هذا الشيطان سيلقى جزاءه العادل ، إن آجلًا أو عاجلًا ، المهم الآن أن نلحق بالزورق الذى تركناه قرب الشاطئ ، فلا بدَّ لنا من مغادرة هذا الجحيم ، قبل أن يبتلعنا فى أعماقه ..

* * *

كان الدكتور (هاملر) فى هذه اللحظة يحاول الوصول إلى يخته الخاص ، الذى يرسو على الجانب الشرقى للجزيرة ، فرارًا

من ذلك الجحيم الذى تركه خلفه ، ولكن يبدو أن نبوءة (ممدوح) كانت تلاحقه ..

لقد كان يشق طريقه بين الأغصان المتشابكة ، والأشجار المتعانقة حينما تحرَّكت فجأة تلك المخالب الحديدية لتطوِّق عنقه ، تمامًا كما حدث لـ (ممدوح) من قبل ..

وصرخ (هاملر) فى ذعر ، وهو يحاول التخلص من ذلك الطوق الحديدىّ بلا جدوى ، وازداد رعبه حينما بدأت تلك الخيوط الحريرية تلتف حول جسده كالشرنقة ، وقفز أمامه ذلك المختل ، الذى أخذ يطلق ضحكاته الجنونيَّة صائحًا :

ـــ ما رأيك فى آلتى العجيبة ؟.. لقد حوَّلتك إلى دودة صغيرة داخل الشرنقة ، وستظل سجينًا داخلها ، حتى تتحوَّل إلى فراشة كبيرة :

ارتعد (هاملر) ، وهو يحاول مخاطبة المخبول ، قائلًا :

ـــ (دوران) .. هل تذكرنى ؟.. أنا سيِّدك (هاملر) .. لقد أحضرتك إلى هذه الجزيرة لعلاجك ، وجعلك عبقريًا بارعًا فى صناعة الآلات والفخاخ التى تهواها .

انحنى المخبول يتأمله فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن أطلق ضحكة هستيرية ، وأسرع يتسلَّق إحدى الأشجار ، تاركًا (هاملر) فى سجنه ، فأخذ يناديه فى ذعر :



ولم تلبث نداءاته أن تحولت إلى صرخات خـوف وفـزع ..

ـــ (دوران) .. عد .. عد إلى هنا .. لا تتركنى مسجونًا داخل هذه الخيوط .. عد أيها الأحمق المجنون .

ولم تلبث نداءاته أن تحوَّلت إلى صرخات خوف وفزع ، حينما رأى عددًا من رجال (البونجو) و (ذوى الرءوس الصلعاء) وغيرهم ممن خضعوا لتجاربه الوحشية ، وهم يقتربون منه ، ويحيطون بالشجرة التى تقيِّد حركته ، فصرخ فى رعب :

ـــ لا .. لا .. ابتعدوا عنى .. لا تقتلونى ..

ولكن صرخاته انقطعت ، وهم يمزِّقون الخيوط فى ثورة ، وينشبون مخالبهم فى جسده .. لقد كان يدفع الثمن ..

* * *

وصل (ممدوح) ورفاقه بعد فوات الأوان ، ليجدوا (هاملر) صريعًا ، وقد تمزَّقت جثته شر ممزَّق ، فأشاحوا بوجوههم فى اشمئزاز ، وغمغم (شيتان) :

ـــ لقد تحقَّقت نبوءتك سريعًا يا صديقى .

(ممدوح) :

ـــ يبدو أن مسوخ (هاملر) ـــ على الرغم من تخلفهم ـــ لم ينسوا ما فعله بهم .. إنها أول مرَّة تنتقم فيها فئران التجارب .

وعاد الجميع يستأنفون سيرهم نحو الشاطئ وهم يشقون طريقهم وسط الصرخات والنيران والرصاصات .. وسط الجحيم ..

١١ ــ قطعة من جهنم ..

كان (ممدوح) ورفاقه فى طريقهم إلى الشاطئ ، حينما لمحوا ثلاثة من الجنود السيامستانيين المذعورين ، بعد أن فتك المسوخ بزملائهم ، وقال (شيتان) لـ (ممدوح) فى سعادة :

ــ إنهم من جنودنا .. إنهم جنود (سيامستان) .

وانطلق يلوِّح لهم بيده فى فرح ، وهو يناديهم فى حماس ، متجاهلًا تحذير (ممدوح) ، الذى هتف به فى توتُّر :

ــ عد إلى هنا يا (شيتان) .

واختلط تحذيره بطلقات رصاصات الجنود ، الذين التبس عليهم الأمر من شدة ذعرهم ، ومنعهم خوفهم من تمييز أفراد البعثة ، فانبطح الجميع أرضًا ، وسمعوا صوت طلقات الرصاص وهى تدوّى فوق رءوسهم ، وصاح (ممدوح) :

ــ إننا فى جانبكم أيها الأغبياء .

كان لعبارته الساخطة مفعول السحر ، فقد توقَّف الجنود عن إطلاق النار ، وابتعدوا فى سرعة عن المكان ، فأسرع (ممدوح) إلى (شيتان) ، وهو يقول :

ــ لقد أثرتهم يا صديقى .. لقد ....

وابتلع الجزء الثانى من عبارته بغتة ، وهو يحدِّق فى وجه (شيتان) فى ألم ..

لقد كان (شيتان) جثة هامدة ، وقد مزّقته رصاصات جنود دولته تمزيقًا ..

* * *

اندفع (ممدوح) يحتضن جثة رفيقه فى ألم وانفعال ، واغرورقت عيناه بالدموع وشاركه أعضاء البعثة ، وتعاون الجميع على دفن (شيتان) ، وألقى (ممدوح) نظرته الأخيرة على قبره ، وهو يقول فى حزن :

ــ لقد كنت شجاعًا حتى الرمق الأخير يا صديقى .. لن أنساك أبدًا ..

وعاد يواصل رحلته نحو الشاطئ مع رفاقه ، وهو لا يستطيع نسيان مصرع (شيتان) حتى فوجئت المجموعة بعدد من (البونجو) يتقافزون ويتصايحون بالقرب من الشاطئ ، بعد أن حطموا القارب الذى أقلّ (ممدوح) و (شيتان) إلى الجزيرة ، فغمغم (ممدوح) فى غضب :

ــ هذا ما كان ينقصنا .

أشار أحد أفراد البعثة إلى أحد الزوارق الحربية ، التى أقلَّت الجنود ، وقال :

ــ انظر .. هذا الزورق الحربىّ خال من الجنود .

ممدوح :

ــ دعونا نستقله سريعًا .

ولكن (البونجو) شعروا بهم فى أثناء انطلاقهم نحو الزورق ، فاندفعوا خلفهم وهم يطلقون صرخاتهم الوحشية ، فصاح (ممدوح) وهو يستدير ليواجههم بمدفعه :

ــ واصلوا طريقكم إلى الزورق ، وسألحق بكم بعد أن أوقف هؤلاء المسوخ .

وأخذ يطلق نيران المدفع الصاروخىّ نحو (البونجو) ، فى حين أسرع أفراد البعثة يستقلّون الزورق ، وأنهى (ممدوح) عمله سريعًا ، واستدار يعدو نحو الزورق .

وفجأة امتدت يد قويّة من بين الحشائش لتقبض على كاحله ، وتطرحه أرضًا ، ورأى (ممدوح) مخلوقًا بشعًا من مخلوقات (هاملر) ، وهو يعوى كالذئب ، والدماء تسيل من أذنه وفمه ..

وانقضّت أنيابه على عنق (ممدوح) ..

* * *

هاجم المسخ (ممدوح) فى شراسة ، محاولًا غرز أسنانه وأنيابه فى جسده ، وحاول (ممدوح) أن يستخدم سلاحه للدفاع عن نفسه ، ولكن المدفع كان قد فرغ من طلقاته ، فرفعه ليهوى به على رأس المسخ ..

ولم تأت الضربة بنتيجتها المنتظرة ، بل زادت المسخ جنونًا ووحشية ، فجذب المدفع من يد (ممدوح) ليلقى به بعيدًا ، وقد استعد لينقضّ على (ممدوح) مرّة أخرى ، بعد أن مزّق ثيابه ..

وتفادى (ممدوح) هجمة المسخ بانحراف سريع ، ثم لم يلبث أن جثم فوق جسده ، وأخذ ينهال عليه بلكمات قويّة متتالية ، أودعها كل قوّته وبأسه ، حتى تلاشت مقاومة المسخ ، وفقد وعيه ، من أثر ضربات (ممدوح) ، ونزف الدماء المستمر من جسده ..

وتهالك (ممدوح) فوق المسخ ، وهو يلهث فى إرهاق ، ثم ما لبث أن استجمع ما لديه من عزم وإرادة ، ونهض متابعًا انطلاقه نحو الزورق الحربى ، الذى سبقه إليه رفاقه ..

* * *

فى نفس هذا الوقت كان بعض من المختلّين عقليًّا يعبثون

بالأجهزة والمعدات الموجودة فى معامل (هاملر) ، وأخذوا يحطّمون ما فيها خلال ثورتهم الجنونية ، وقام أحدهم بتخريب أحد الأجهزة ، الذى أخذ يشع ضوءًا عجيبًا ، وترددت فى المكان أصوات صفارات متقطعة تشير إلى الخطر ، وفجأة انفجر الجهاز ، وامتد انفجاره إلى الأجهزة والمعدات الأخرى ، ولم يلبث أن شمل المكان كله ، فانفجرت القاعدة وتطايرت أجزاؤها فى كل مكان ..

وسمع (ممدوح) ورفاقه دوىّ الانفجار الهائل فى أثناء إبحارهم بالزورق الحربى ، فى حين كانت النيران تمتد فى الغابة الكثيفة لتحرق الأشجار والحشائش فى أرجاء الجزيرة ، وقال الدكتور (زهدى) وهو ينظر فى ذهول إلى ذلك الجحيم المستعر :

ـــ لقد تحوّلت الجزيرة إلى قطعة من جهنم .

تنهّد (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لقد كان من الممكن أن تكون هذه الجزيرة قطعة من الجنة ، لولا أحلام (هاملر) الجنونية .

وفجأة انبعث صوت عبر جهاز اللاسلكى الخاصّ فى الزورق ، يردِّد فى إصرار :

ـــ من القيادة العامة إلى الكتيبة الثامنة (زرات) .. هل تسمعنى ؟.. حوِّل .

أسرع (ممدوح) إلى جهاز الإرسال ، ليجيب النداء قائلًا :

ـــ أسمعك بوضوح .. حوِّل .

ـــ لقد سجلت طائراتنا الاستطلاعية انفجاراً هائلًا فى جزيرة (بومو) .. هل هاجمكم الكورانيون ؟.. حوِّل .

ابتسم (ممدوح) فى سُخْرِيَة ، وهو يقول :

ـــ لا ، لقد دمرتها مع مشاريع الشيطان الذى بعتموها له .

ـــ ماذا تقول ؟.. من أنت ؟

ممدوح :

ـــ أنا المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) من المباحث المصريّة ، ومعى أعضاء البعثة المفقودة ، لقد هربنا من جزيرة (بومو) منذ لحظات ، ونحن فى طريقنا الآن إلى أحد الموانئ القريبة .

ولكن صاحب الإشارة اللاسلكية صاح قائلًا :

ـــ ولكنكم الآن فى مرمى نيران العدو .. إن طائراته فى طريقها لتدميركم .

أطلق (ممدوح) من أعماقه زفرة قويّة ، وهو يقول :

ـ إذن فلم تنته متاعبنا بعد .. هل يجيد بعضكم السّباحة .

أجابه ثلاثة منهم بالإيجاب ، فقال وهو يشير إلى ثلاث من طائرات الكورانيّين تنقضّ عليهم :

ـ فلنقفز جميعًا فى الماء إذن ، وليعاون من يجيد السّباحة منكم زميله .

وانقضّت طائرات الكورانيين ، وانفجر الزورق الحربىّ ، وتحوّل إلى عمود من النار يشتعل فوق سطح الماء .

* * *



١٢ ـ المصير المجهول ..

جلس اللواء (مراد) فى مكتبه متوتّرًا قلقًا ، وقد سرى فى أعماقه اكتئاب شديد ، بعد أن قرأ فى صحف الصباح نبأ الهجوم الذى تعرّض له (ممدوح) وأعضاء بعثة الأمم المتحدة ..

كان الخبر مبهمًا ، إلّا أنه لم يكن يوحى بأدنى قدر من الأمل والتفاؤل ، فقد عثر الغوّاصون على جثتى اثنين من أعضاء البعثة فى أعماق المياه ، فى حين لم يجدوا أى أثر للآخرين ، وأشارت مختلف الاحتمالات إلى افتراسهم بواسطة سمك القرش المتوحش ، الذى يكثر وجوده فى تلك الأنحاء ، ولم يكن من السهل على اللواء (مراد) أن يصدّق أن واحدًا من أفضل رجاله قد انتهى على هذا النحو ..

شئ ما فى أعماقه كان يرفض تصديق ذلك ..

شئ اسمه الأمل ..

ولم يجسر أحد على الدخول إلى حجرته ، فقد كانوا يعلمون جميعًا مدى سوء حالته النفسيّة ، التى لا تسمح له بمخاطبة أحد ،

ولكن الرائد (رفعت) اقتحم حجرته فجأة ، وهو يهتف فى فرح :

ـــ سيادة اللواء .. لقد عثروا على (ممدوح) ، وباقى أفراد البعثة .

تخلَّى اللواء (مراد) عن وقاره ، وقفز من فوق مقعده ، وهو يهتف :

ـــ هل هذا حقيقى ؟

رفعت :

ـــ نعم .. لقد أذيع الخبر فى المذياع منذ لحظات ، فقد عثر بعض الصيادين الفلبينيين على (ممدوح) وأفراد البعثة فى أثناء سباحتهم ، وحملوهم إلى قواربهم ، حيث نقلوهم إلى أحد الموانئ الفلبينية ، وقد سافر كل منهم إلى وطنه ، وسيصل (ممدوح) والدكتور (زهدى) إلى مطار القاهرة الليلة .

تهالك اللواء (مراد) فوق مقعده ، وهو يردِّد فى ارتياح :

ـــ حمدًا لله .. حمدًا لله .

* * *

كانت الطائرة الفلبينية التى تقل (ممدوح) والدكتور (زهدى) فى طريقها إلى القاهرة ، حينما غمغم الدكتور (زهدى) ، وهو يستند برأسه إلى مقعد الطائرة :

ـــ ترى هل سيصدِّقنى أصدقائى وأفراد أسرتى ، حينما أروى لهم كل ما واجهته فى رحلتى ؟

ولكنه لم يتلقَّ جوابًا ، فقد كان (ممدوح) قد ضمَّ ذراعيه إلى صدره ، وأسند رأسه إلى مقعده ، وأغمض عينيه فى استرخاء ..

لم يكن نائمًا ، ولكن خياله كان منطلقًا إلى إدارة العمليات الخاصَّة ، وهو يحلم بالعودة إليها .. إلى وطنه ..

وشاع فى أعماقه حنين جارف إلى مكتبه فى الطابق الرابع من الإدارة ، وابتسم فى هدوء ، وهو يسأل نفسه فى مَرَح :

ـــ تُرى أيَّة مهمة جديدة ينتظرنى من أجلها الآن اللواء (مراد) ؟

واتسعت ابتسامته ، وامتلأ قلبه بسعادة الظافر .

* * *

[تمت بحمد الله]

● جــزيرة الأهـــوال ●

ونجح (ممدوح) فى التخـلّص من مهاجميه .. ولكنه لم يكد يسرع للحاق بزملائه حتى امتدت يد من بين الحشائش ، لتقبض على كاحله ، وتطرحه أرضًا ، ورأى (ممدوح) مخلوقًـا بشعًـا من مسوخ (هاملر) وهو يعوى كالذئب .

المؤلف



ا . شريف شوق

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

٣٨

العدد القادم اختطاف الجنرال

الثمن
مصر
وما
امريكيا
فى سائر
الدول
العربية
والعالم